جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

تجارة القوافل بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن 19م

مذكرة مكمّلة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعدادالطالبتين:
أسماء فرجاني
لطيفة مصباحي

الأستاذ المشرف:
د. عبد الكامل عطية

لجنة المناقشة:

الأستـــاذ	الصفة	مؤسسة الانتساب
د. عبد القادر كركار	رئيس الجلسة	جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي
د. عبد الكامل عطية	مشرفاً ومقررا	جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي
أ. أحمد بن خيرة	عضوا مناقشا	جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي

السنة الجامعية :1438-1439هـ/ 2017- 2018م

قال تعالى:

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

سورة التوبة: (الآية105)

شكر وعرفان

قال تعالى: " لَئِن شُكُرتُم لَأَزِيدَنَكُم "

فنشكره سبحانه وتعالى على ما منه علينا من توفيق في انجاز هذه المذكرة

وقال رسول الله ﷺ " من لم يشكر الناس لا يشكر الله "

فالشكر والتقدير والعرفان للأستاذ المشرف " عطية عبد الكامل "

وإلى كل من قدم لنا يد العون وأخص بالذكر منهم الأستاذ "الهادي هارون "

وإلى كل من مكتبة دار الثقافة ومكتبة متحف

المجاهد ومكتبتنا الجامعية

وإلى كل أفراد عائلتنا واخص بالذكر الوالدين الكريمين

أطال الله في عمرهما

ولكل من أفادنا من قريب أو بعيد

وبارك الله في الجميع وجزاهم الله عنا كل خير ولهم منا

عظيم الشكر والامتنان.

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
د.س	دون سنة
د.د.ن	دون دار نشر
د.م.ن	دون مكان نشر
د.ط	دون طبعة
تر	ترجمة
تح	تحقيق
مح	مجلد
ج	جزء
ط	طبعة
ص	صفحة
ص ص	صفحات
ع	عدد
ه	الهجري
م	الميلادي
P	Page
Op-cit	Opacité

مقدمة

تعد القوافل التجارية الصحراوية من أهم العوامل التي أدت إلى ترابط الشعوب الإفريقية فيما بينها، خاصة العلاقة بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء، وذلك بمختلف المجالات خاصة بالمجال الإقتصادي الذي شهد حركة تجارية نشطة، فكانت الصحراء الكبرى تموج بقوافل التجار، والعلماء، والدعاة الذين ينتقلون عبر مناطقها، فكانت وسيلة لنشر العلم والدين الإسلامي معا، فلم تكن القافلة التجارية تحمل السلع لبيعها في الأسواق فحسب، بل إن دورها تعدى المجال الإقتصادي فالتاجر يمارس تجارته وفي نفس الوقت يحمل على عاتقه نقل العلم والثقافة الإسلامية ونشر الدين الإسلامي، فبأخلاقه وتعامله مع غيره وصدقه ونزاهته في التجارة جعل منه محل أنظار الأفارقة الذين لم يتعود على هذه الأخلاق فكانت تجارة القوافل التجارية قد ساهمت مساهمة كبيرة في ربط العلاقات وتقويتها بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء، وقد ظلت هذه الروابط مستمرة إلى غاية القرن التاسع عشر الميلادي، لولا توغل الإستعمار الفرنسي للقارة الإفريقية وإستعمارها ونهب خيراتها ومحاولة إيقاف هذه التجارة وعرقلتها التي استمرت طوال قرون عديدة جسرا منيعا لنقل الحضارة العربية في مختلف المجالات ، ومن هذا المنطلق جاء عنوان الدراسة والذي هو بعنوان: تجارة القوافل بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن 19م.

طرح الإشكالية:

وقد حاولنا تسليط الضوء على هذا الموضوع من خلال معالجة الإشكالية التالية:

ـ كيف كانت العلاقة التجارية بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن19م؟

وتتضمن الإشكالية الرئيسية عدة تساؤلات فرعية وهي:

ـ كيف ساهمت الطرق والمراكز التجارية في تسيير تجارة القوافل؟ وكيف كانت المعاملات التجارية بها؟

ـ ماهي أهم الآثار التي خلفتها هذه التجارة؟ وما هو الدور الذي لعبه الإستعمار الأوروبي في تسيير هذه التجارة؟ ومن هم أبرز الرحالة والمستكشفين الذين زاروا المنطقة الصحراوية خلال القرن19م؟ والنتائج المترتبة عليها؟

ـ كيف كان تحكم الفرنسيين في التجارة العابرة للصحراء؟ وما هي الوسائل والأساليب الناجمة عنها؟ وما هو رد فعل السكان عن هذه السياسة؟

دواعي اختيار الموضوع:

ومن بين الدواعي التي حفزتنا لاختيار هذا الموضوع والاهتمام به هو:

ـ الرغبة في التعرف أكثر على تجارة القوافل بين بلاد المغرب وبلاد السودان خلال القرن 19م، وخاصة في هذه الفترة التي شهدت توغل الإستعمار الأوروبي للقارة الإفريقية، ما حفزنا على معرفة مدى استمرارية هذه التجارة أو القضاء عليها.

ـ كما أن رغبتنا في دراسة موضوع يخص المجال الإقتصادي فإرتأينا لإختياره، والتعرف أكثر على هذا الموضوع.

أهمية الدراسة:

إن الهدف من دراسة هذا الموضوع هو:

_ ابراز قيمة القوافل التجارية العابرة للصحراء.

_ ابراز دور المغاربة في تنشيط الحركة التجارية نحو بلاد السودان.

_ التعرف على الطرق الصحراوية التي تم الكشف عنها من قبل الرحالة والمستكشفين خلال القرن19م.

_ ابراز دور العلماء والدعاة والتجار والطرق الصوفية في نشر الثقافة العربية الإسلامية في مختلف الحواضر الافريقية.

_ محاولة التعرف عن مواقف السكان من الإستعمار الأوروبي .

_ التعرف على مدى استمرارية تجارة القوافل خلال القرن 19م أو القضاء عليها.

حدود للدراسة:

يتضمن موضوع دراستنا فترة زمنية محددة وهي فترة القرن 19م، الذي شهد تراجع كبير لتجارة القوافل بسبب اهتمام الإستعمار الأوروبي بالقارة الإفريقية.

المنهج المتبع:

ولقد اعتمدنا في دراستنا على عدة مناهج بما تقتضيه طبيعة الموضوع.

المنهج التاريخي والتحليلي الذي حاولنا من خلالهما استنباط الأحداث المحورية في الموضوع، أما المنهج الوصفي فقد ساعدنا في معرفة طبيعة العلاقة بين بلاد المغرب وإفريقيا

جنوب الصحراء من خلال الحركة التجارية والتي أثرت بدورها على مختلف المجالات، والمنهج الإحصائي، وبحكم أن الموضوع يختص في المجال الإقتصادي استدعى الأمر إلى معرفة احصاء الصادرات والواردات في كل من المنطقتين.

تقييم المصادر والمراجع:

خلال دراستنا لهذا الموضوع اعتمدنا على عدة مصادر ومراجع أفادتنا في بناء الموضوع أهمها:

كتاب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النضار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار للرحالة ابن بطوطة الذي تحدث في كتابه عن مكونات القافلة، أما محمد الحسن بن الوزان الذي وصف لنا أهم المراكز التجارية والمناطق التي زارها وذلك ضمن كتابه وصف إفريقيا، كما أن كتاب إفريقيا لمارمول كربخال ذكرها أيضا، ولقد ذكر كل من الجغرافي أبو القسام ابن حوقل النصيبي في كتابه صورة الأرض، وكتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب لأبو عبيد البكري اللذين ذكرا أهم المبادلات التجارية وكتاب المقدمة لعبد الرحمان ابن خلدون الذي تناول عادات وتقاليد بلاد المغرب ومدى تأثير في المجتمع الإفريقي، وكذلك مصدر تاريخ الفتاش لمحمود كعت وكتاب تاريخ السودان لعبد الرحمان السعدي...إلخ، وغيره من المصادر التي اعتمدنا عليها .

أما المراجع فنذكر منها كتاب توات والأزواد بجزئية لمحمد صالح حوتيه الذي تحدث في جزئه الأول عن السلع والبضائع، أما في جزئه الثاني فتحدث عن أهم الرحالة والمستكشفين وكذا المشاريع الفرنسية، كما تطرق إليها إسماعيل العربي في كتابه الصحراء الكبرى وشواطئها، وكتاب دراسة في إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين لعبد القادر زبادية وكذا كتاب بداية الحكم المغربي في السودان الغربي نشأته وآثاره لمحمد الغربي

...وغيرها من المراجع، وقد اعتمدنا أيضا على العديد من المجلات والدوريات...إلخ.

خطة البحث:

اتبعنا أثناء دراستنا لموضوع تجارة القوافل بين بلاد المغرب وافريقيا جنوب الصحراء خلال القرن19م،على خطة بدأناها بمقدمة، ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة، حيث يتضمن المدخل الحدود الجغرافية لكل من بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء، أما الفصل الأول بعنوان القوافل التجارية ويندرج تحته ثلاثة مباحث، الأول بعنوان ماهية القوافل التجارية والثاني مكونات القافلة، والثالث نظام القافلة وسيرها، أما الفصل الثاني فتطرقنا فيه إلى الأسواق والمعاملات التجارية لإفريقيا جنوب الصحراء والسودان الغربي، ويندرج تحته ثلاثة مباحث، الأول بعنوان المسالك التجارية وأهم الأسواق ومراكزها، أما الثاني البضائع الصادرة والمستوردة، والثالث المعاملات التجارية بالأسواق السودانية، أما الفصل الثالث والأخير بعنوان الآثار الحضارية للقوافل التجارية واهتمام الإستعمار الأوروبي بها، ويندرج تحته مبحثين، المبحث الأول بعنوان الآثار الحضارية للقوافل التجارية، أما المبحث الثاني فعنوانه اهتمام الإستعمار الأوروبي بالصحراء الإفريقية من خلال الرحالة والمستكشفين خلال القرن 19م، كما أنهينا دراستنا بخاتمة شملت أهم ما توصلنا إليه من استنتاجات حول موضوعنا، كما تضمنت الدراسة مجموعة من الملاحق في شكل خرائط، وصور، وجداول لتوضيح صلب الموضوع أكثر.

الصعوبات:

كأي بحث علمي تتخلله عدة صعوبات، فقد واجهتنا في أثناء انجازنا لهذا العمل عوائق أهمها:

_ صعوبة التنقل بين مكتبات ولايات الوطن.

_ قلة الدراسات التي تحتوي على مواضيع تخص إفريقيا جنوب الصحراء.

وفي الأخير نعتذر على كل نقص وتقصير ونرجوا أن نكون قد وفقنا في الإلمام بأهم جوانب الموضوع.

المدخل

إن الموقع الجغرافي لكل من بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء، أهلها بأن تكون ملاذا لإستقطاب السكان بكل شرائحه خاصة فئة العلماء والدعاة والتجار ، مما حفز هؤلاء التجار على جعلها منطقة للتبادل التجاري، و بالرغم من شساعة الصحراء إلا أنها ظلت عاملا أساسيا في عملية التأثير والتأثير.

أ _ بلاد المغرب:

لقد تعدد مصطلح المغرب عند كثير من الكتاب ، فمصطلح المغرب اسم أطلقه الفاتحون المسلمون على مغربنا الكبير في القرن الأول الهجري، وقد قسم المسلمون في مصر والشام والمغرب الكبير حسب بعده وقربه عنهم في مصر والشام، وتم تقسيم المغرب إلى ثلاثة أقسام:

المغرب الأدنى، والمغرب الأوسط، والمغرب الأقصى، فالمغرب الأدنى يبتدئ من غرب الإسكندرية شرقا إلى مدينة بجاية غربا، والمغرب الأوسط من مدينة بجاية شرقا إلى وادي ملوية غربا، أما المغرب الأقصى من واد ملوية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا...إلخ[1].

أما ابن حوقل في كتابه صورة الأرض فيعرفها بأنها تلك البلاد التي تمتد من الإسكندرية شرقا إلى البحر المحيط[2] غربا، ومن أرض غانة وأودغست جنوبا إلى بحر الروم شمالا، كما يطلق عليها أيضا اسم شمال إفريقيا والتي تضم كل من المغرب الأقصى والجزائر وتونس وليبيا[3].

[1] محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ط1، عالم المعرف، الجزائر، 2013، ج1، ص4.

[2] أبي القاسم بن حوقل النصيبي: صورة الأرض، (د.ط)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1995م، ص64.

[3] شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية(تونس الجزائر المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة، (د.ط)، مؤسسة تاوالت الثقافية، (د.م)، 2011م، ص7.

ب _ إفريقيا جنوب الصحراء (بلاد السودان):

وقد اختلفت بعض المصادر في تحديد موقع بلاد السودان جغرافيا، حيث ذكر البكري كلمة السودان في القرن 5هـ _ 11م على ذلك الجزء من غرب إفريقيا، الذي يمتد من المحيط الأطلسي[1] غرب إلي مشارق النوبي على النيل شرقا، واعتبر مدينة سجلماسة مدخلا إلى بلاد السودان، في حين ذكر القلقشندي أن بلاد السودان يحدها من الغرب البحر المحيط ومن الجنوب الغربي مما يلي خط الاستواء ومن الشرق بحر القلزم(أي البحر الأحمر)، مما يقابل بلاد اليمن ومن الشمال براري تمتد ما بين مصر وبرقة وبلاد المغرب الأقصى من جنوبه إلى البحر المحيط[2]، أما ابن حوقل فقد حدد منطقة السودان بقوله" وأما جنوبي الأرض من بلاد السودان فإن بلدهم في أقصى المغرب على البحر المحيط بلاد ملتف، ليس بينه وبين شيء من الممالك اتصال، غير أن حدا له ينتهي إلى البحر المحيط وحدا له ينتهي إلى برية بينه وبين أرض المغرب حدا له ينتهي إلى برية بينه وبين أرض مصر على ظهر الواحات[3].

أما ابن خلدون فيقول" والسودان أضاف شعوب وقبائل أشهرهم بالمشرق الزنج والنوبة، ويليهم الزغاوة ويليهم الكانم ويليهم من غربهم كوكو وبعدهم التكرور ويتصلون بالبحر المحيط إلى غانية[4]، وعلى العموم يقع بلاد السودان في المنطقة المحصورة بين المحيط الأطلسي غربا

---

[1] أحمد الطاهر : إفريقيا فصول من الماضي والحاضر، (د.ط)، دار المعارف، القاهرة، 1975م، ص66.

[2] الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي والإقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن 15 إلى بداية القرن18م، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999م، ص ص18,17.

[3] ابن حوقل: المرجع السابق، ص ص25,24.

[4] عبد الرحمان بن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم ذوي السلطان الأكبر، مج7، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت ليبيا، 2006م، ص 60.

والمحيط الهندي، والبحر الأحمر شرقا، والصحراء الكبرى شمالا[1]، وخط عرض 4 و16 درجة شمال خط الإستواء في الجنوب وخطي طول 13 17 درجة غرب خطي غرينتش[2].

والعرب والمسلمون هم أول من أطلق كلمة السودان على الشعوب والقبائل التي تسكن هذه المنطقة الواسعة[3].

ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام وهي:

_ السودان الغربي: ويشمل حوض السنغال[4]، وغامبيا، والمجرى الأعلى لنهر الفولتا، والنيجر الأوسط.

_ السودان الأوسط: ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة التشاد.

_ السودان الشرقي: ويشمل الحوض الأوسط لنهر النيل وروافد جنوب بلاد النوبة*[5].

---

[1] يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 20م،(د.ط)، دار الهومة، 2000م،ج2، ص7.

[2] محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007م، ص ص20,19.

[3] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص7.

[4] نور الدين شعباني: محاضرا في تاريخ ممالك السودان الغربي، (د.ط)، دار الجزائر، الجزائر، 2015م، ص4.

[5] إبراهيم حامد لمين: اسهامات قبائل كنته والفلان في التواصل الثقافي بين إقليمي توات والسودان الغربي خلال القرن13هـ-19م، مجلة الدراسات التاريخية، ع7، جامعة غرداية، 2016م، ص18.

*بلاد النوبة: منطقة من وادي النيل والتي تمتد من أسوان بجنوب مصر إلى الخرطوم في السودان يحدها البحر الأحمر شرقا وتشكل الصحراء النوبية كثرة أراضيها وليس لإسم النوبة اليوم أي مدلول إداري لأن ترابها موزع بين مصر والسودان. ينظر: نبيلة حشفة ويمينة بريبش: جهود المغاربة في نشر الثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء من القرن 10هـ/16م إلى القرن13هـ/19م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إشراف عبد الكامل عطية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2016ـ2017م، ص19.

الفصل الأول

القوافل التجارية

المبحث الأول: ماهية القوافل التجارية.

المبحث الثاني: مكونات القافلة.

المبحث الثالث: نظم القافلة وسيرها.

المبحث الأول : ماهية القافلة وأنواعها.

سنحاول في هذا المبحث التطرق إلى تعريف القافلة اللغوي والإصطلاحي ثم الوقوف عند أنواعها ذات الصبغة التجارية البحتة والثاني هو الجانب الديني فيها (ركب الحج).

أولا/مفهوم القوافل وأنواعها:

لغة: مصطلح القافلة هو القفول أي العودة أو الرجوع من السفر ولا يقال للذاهبين، قافلة حتى يرجعوا[1]، وقال أبو منظور سميت القافلة تفاؤلا بقفولها عن سفرها الذي ابتدأته[2]، إذا كانت القافلة هي الرفقة الراجعة من السفر[3]، والعرب سموا القافلة الذاهبة في ابتداء الأسفار تفاؤلا بأن يسير الله لها القفول، فالقافلة تشمل حسب استعمالات العرب والمصطلحات الحديثة المعنيين، الرفقة، والقفال أي الراجعة من السفر والمبتدئة فيه[4]، فالقافلة إذا هي ذلك التنظيم البشري والمادي و الحيواني الذي لجأ إليه التاجر منذ فترة ما قبل الاسلام ، لبيع بضاعته داخل محيط بيئته أو خارجها[5].

---

[1] أبو الحسن(أحمد بن فارس بن زكريا): معجم مقاييس اللغة، تر: عبد السلام هارون، مج5، ط1، دار الجيل، بيروت،1991 ص 112.

[2] ابن منظر(الفضل جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب المحيط ، تح :عامر أحمد حيدر ومراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم، مج5، (د ط)، دار الكتاب العلمية، بيروت،2005م، ص634 .

[3] رشيد حفيان: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11ـ 12ه/17ـ18م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر(غير منشورة)، إشراف خليفة حماش، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة،2014/2013م، ص 54 .

[4] أوزايد بالحاج: تجارة القوافل بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء في العهد العثماني ودورها الحضاري، مجلة الروافد للبحوث والدراسات، ع2، جامعة غرداية،2017م، ص95 .

[5] جميلة بن موسى: تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن 3ـ5ه/9ـ11م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي(غير منشورة)، إشراف إبراهيم فخار، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2000ـ2001، ص50.

كما ورد مصطلح القافلة في القرءان الكريم وذلك لقوله تعالى "لِإِيلَٰفِ قُرَيش إِيلَٰفِهِم رِحلَةُ الشِتَاءِ وَالصَيفُ" [1]

القافلة: والجمع، القوافل هي الرفقة وقافلة التجارة: رفقة التجارة والتجارات[2].

والقافلة: الرفقة الراجعة من السفر.

والمقفل: مصدر قفل إذا عاد من السفر والجمع هو القفل .

قال: وقد يقال للسفر قفول في الذهاب والمجيء وأكثر ما يستعمل في الرجوع.

نستنتج مما سبق أن التعريف اللغوي للقافلة يشمل فقط الرجوع أو العودة إلى الديار.

اصطلاحا: فالمقصود بها القافلة التجارية، وهي تنظيم مسبق تقوم به جماعات أغلبها تجار قد تختلف أصولهم ولكن هدفها اقتصادي هو الربح التجاري والمتجارة بيعا وشراء[3]، والتاجر هو الذي يتاجر في الأسواق والتجارة البرية هي عماد تجارة العرب وسندها الأول في رخائهم وفي كسب ثرواتهم وعماد هذه التجارة وسندها هي القوافل[4]، التي يقتضي عند الاشارة إليها إلى البدو الرحل[5]، حيث شكلت العديد من القوافل البدوية عنصرا أساسيا في نجاح مهام القافلة التي كانت كانت تعبر الصحراء، هذه القافلة لها مكونات بشرية وحيوانية، وتعتبر القافلة الوسيلة الوحيدة الممكنة للتنقل في الصحراء في ذلك الوقت، وذلك باستخدام الجمال حيث تضم مجموعات متعددة من التجار الذين لا تربط بينهم سوى مصلحة الطريق[6].

---

[1] القرآن: سورة قريش، الآية رقم 2.1، ص602.

[2] محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسمية، ط1، دار الشروق، بيروت،1993م، ص444.

[3] رشيد حفيان: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري العهد العثماني خلال القرنين11-12هـ/17-18م، المرجع السابق، ص55 .

[4] علي جواد: المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط2، (د.د.ن)، جامعة بغداد، 1993م، ج7، ص232 .

[5] جميلة بن موسى: المرجع السابق، ص50.

[6] أوزايد بالحاج: المرجع السابق، ص96.

كما أن هناك ما يسمى "بالنجع" الذي هو عبارة عن قبيلة أو مجتمع متحرك تكون سرعته أبطأ من القافلة ولكنها أضمن بالنسبة للتجار[1].

تنطلق القوافل عادة مرتين في السنة مرة في الربيع ومرة في بداية الخريف وتتراوح المدة التي تقطيها في الطريق ما بين ستة أسابيع وشهرين[2]، فكان الفصل المناسب لها هو فصل الشتاء وذلك لانخفاض درجة الحرارة فيه وتجنب الهلاك من العطش[3]، كان التنظيم القوافل والتحكم في الطرق التجارية واستقطابها غنيمة تتنازع عليها جماعات البدو[4]، كان من الضروري الضروري إعداد ترتيبات وتنظيمات ممتازة لرحيل القافلة فتجمع أعداد هائلة من الابل والأشخاص وغيرهم[5]، حيث أن عدد أفراد القافلة لم يكن عدد محدد للأشخاص المشاركين في القافلة أقلها اثنان إلى أكثر من ذلك، وكثيرا ما يرتبط العدد بأمن الطريق، فإن كان الطريق آمنا، يستطيع اثنان أن يسيرا القافلة، أما إذا كانت به أخطار فالمسافرين يكونون في حاجة إلي بعضهم البعض، أما عن وسائل النقل فهي تختلف من منطقة إلى أخرى، ففي التل يستعمل التجار الجمال والبغال للسلع، والخيل للأشخاص، وفي الصحراء يستعملون الجمال والحمير معا[6].

[1] محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830م، (د.ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص68.

[2] عثمان المنصوري: التجارة بالمغرب في القرن السادس عشر (مساهمة في تاريخ المغرب الاقتصادي)، ط1، منشورات كلية الآداب، الربط، 2001، ص153.

[3] رشيد حفيان: أمن القوافل بين البلدان المغاربية خلال العهد العثماني، دورية كان التاريخية، ع27، مارس 2015، ص20.

[4] إبراهيم حامد لمين: التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الاجتماعي والثقافي (999-1317هـ/1591-1900م)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر (غير منشورة)، إشراف محمد صالح حوتيه، قسم التاريخ، جامعة غرداية، 2015-2016م، ص80.

[5] بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ط2، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي،1988، ص 393.

[6] أوزايد بلحاج: المرجع السابق، ص 97.

ثانيا: أنواع القوافل.

إن الحديث عن القوافل المتبادلة بين البلدان المغاربية يستوجب الوقوف عند أنواعها، فهي ليست تجارية بحتة وإنما فيها جانب ثاني هو الجانب الديني أو ما يطلق عليها بقوافل الحجيج (ركب الحج) الذين يقطع البلدان انطلاقا من المغرب الأقصى مرورا بالجزائر ثم تونس وليبيا، متجها نحو المشرق(البقاع المقدسة) لتأدية مناسك الحج كل عام.

أ_ القوافل ذات الطابع التجاري (البحتة).

ويتمثل هدفها الرئيس هو المتاجرة بيعا وشراء بين أرجاء ومراكز المغرب العربي، إذ تختلف مراكز انطلاقها واتجاهاتها بين الجزائر وتونس بين ليبيا والجزائر وتونس بين الجزائر والمغرب[1]، وأخرى تجول البلدان المغاربية بكاملها حاملة مختلف السلع ومستوردة احتياجاتها ومتطلبات السوق لديها[2]، لذا فإن مواعيد انطلاقها، ومدى ضخامتها ومقدار حمولتها الى غير ذلك من التفاصيل التي لاتزال غير معروفة بشكل محدد ودقيق[3]، الا أن ذلك لا ينفي خضوعها لتنظيمات مسبقة قبل انطلاقها كاختيار الوقت للخروج من طرق تجار القوافل قبل خروجهم للتجارة كاختيار الزمن والشهر المناسب[4]، ولقد اعتمدت هذه القوافل على الجمال كوسيلة أساسية أساسية للنقل[5]، و التي ساهمت مساهمة عظيمة في التجارة خاصة الصحراوية[1]، نظرا

[1] رشيد حفيان: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية في العهد العثماني خلال القرنين11ـ12هـ/17ـ18م، المرجع السابق، ص 55.

[2] رشيد حفيان: أمن بين البلدان المغاربية خلال العهد العثماني، مجلة كان،ع27، المرجع السابق، ص 19.

[3] عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن (10هـ/16م)،(د.ط)، دار الأمل، الجزائر، 2008، ج2، ص63 .

[4] رشيد حفيان: أمن القوافل بين البلدان المغاربية خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص19.

[5] عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 164.

للمؤهلات الطبيعية التي ميزها الله إياها من جفون وأرجل طويلة ذات أخف مشقوقة وأنف واسع، وقدرة على تحمل العطش[2] .

_ القوافل التجارية الدينية:

لقد كان الحج فرصة سنوية للتجارة لتحقيق الربح على طوال الطريق المؤدي إلى البقاع المقدس (مكة)[3]، لما يقع من بيع وشراء لما حملوه من بضائع يتم جمعها من مختلف المواضع، و المحطات التي مروبها وقد جرت العادة أن تقوم بهذه الرحلة الدينية والدنيوية ثلاث قوافل قاعدة انطلاقها من المغرب تحت قيادة أشراف مغاربة[4]، يتم اختيارهم بشروط . لقد حدد البعض عدد الركب ب1500 إلى2000 حاج، وفي كل محطة يؤسس الركب تجارة للتبادل فيقوم أصحاب القوافل بالشراء والبيع، فقد أورد العياشي في ذلك عند دخوله ورقلة قوله: " وكان من لطف الله بالحجاج أن صادف دخولهم دخول قافلة من أعراب الارباع قدمة بسمن كثير وغنم وابل وزرع، اشترى الناس ما احتاجوا إليه..." وبالمقابل يوفر الحجاج في الطريق النقود وبعض السلع الجلوبة من بلدانهم، اذ عادة ما يمارس الحجاج حرفة التجارة في الذهاب والاياب لكسب قوتهم، أو المؤونة والاستعداد للدفع من أجل القوت والحمل، والركوب والكسوة ومصارف أخرى معرفة أو طارئة" أما فيها يخص مسار هذه القوافل فكان اتجاهها من المغرب نحو المشر ق ذهابا والعكس إذ كانت تمارس

[1] فيصل محمد موسي: موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر،(د.ط)، منشورات الجامعة المفتوحة، بنغازي(ليبيا)، 1997م، ص50.

[2] فيصل محمد موسي: المرجع السابق، ص 50 .

[3] لطفي بن ميلاد: قافلة الحج المغربي (تحولاتها وأبعادها خلال القرون الأخيرة في العصر الوسيط)، بونة للبحوث والدراسات، ع 14/13، الجزائر، ديسمبر 2010، ص 121 .

[4] العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 183 .

عملية التبادل التجاري بين بلدان المغرب العربي و المشرق، أثناء اتجاهها لبلاد الحجاز انطلاقا من جهات مختلفة بالمغرب الاقصى مثل تازا[1] .

كان الحج عاملا منشطا، اذ كان من الممكن أن يصبح قوافل تجارية[2]، وتعتبر قوافل الحج اهم القوافل نظرا لعدد جمالها الهائل المتنقل باتجاه مكة حيث يتجمع الحجاج في تازة ،لتقطع القافلة الجزائر، ثم تونس، اما عن طريق الجريد أو عن طريق تونس لتصل الى طرابلس بعد قطع شهرين وصولا الى الاسكندرية ثم الى مكة أين يشارك الحجاج في المعرض التجاري الهائل الذي يقام هناك[3] .

صحيح أن الطابع الأساسي لهذه القوافل كان الدين أي تأدية فريضة الحج ،فكانت جل مكوناتها البشرية الحجيج الراغبين في تأدية فريضة الحج، الا أنه من بين المرافقين لها التجار، وكان الحجاج أنفسهم يتاجرون فيما أحضروه معهم من بضائع المغرب في طريق الذهاب وبضائع المشرق في طريق الاياب[4]، فكانت هذه العملية سنوية لتحقيق أهدف دينية ودنيوية منها الحج، وطلب العلم، وربح المال حتى قيل في المثل "حج وحاجة"[5] ، ولعل خير دليل على ذلك الربح ما جناه التاجران الحاج عبد القادر والحاج ناصر من وادي ميزاب من مضاعفة لأموالهم في طريقهم الى الحج[6]، اذ كان الحجيج يتجرون من السكان المحليين في كل مدينة أو قرية

---

[1] رشيد حفيان: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية في العهد العثماني خلال القرنين 11ـ12ه/17ـ18م، المرجع السابق، ص ص 59,58.

[2] مريم محمد عبد الله جبوره: التجارة في بلاد إفريقيا وطرابلس الغرب خلال العهدين المواحدي والحفصي (555ـ980ه/1160ـ1572م)، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب من قسم التاريخ، إشراف سامية مصطفى مسعد، شعبة التاريخ الإسلامي، جامعة الزقازيق، 2008، ص95.

[3] VALANSI(LUCETTE): le Maghrebavamt la prise Algér(1790-1830), Paris, flammarion, 1969,p59.

[4] عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 65.

[5] مختار بن الطاهر فيلالي: رحلة الورتلاني (عرض ودراسة)، (د.ط)، دار الشهاب، باتنة، (د.س)، (د.م)، ص81.

[6] رشيد حفيان: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية في العهد العثماني خلال القرنين 11ـ12ه/17ـ18م، المرجع السابق، ص 59.

يقفون عندها حتى عدت القافلة بمثابة سوق متنقلة[1]، هذه القوافل الذي شغل مرورها أنظار السكان المحليين ففي تونس يستغل التجار رجوع الحجاج من الحجاز للمتاجرة معهم[2]، هذه الصحبة التي كانت عادة متواصلة كل عام بين الدول المغاربية حتى سمية بالقافلة المغاربية[3]، باعتبارها مناسبة للتبادل التجاري[4].

وقد كان التجار ينتظرون أو يستغلون فرصة موسم الحج لعدة أسباب منها: أن ركب الحج يمثل حاجزا للتجار اذ يوفر لهم الحماية من الاعتداءات[5]، وكذلك التمتع بالإعفاءات الجمروكية الجمروكية حتى قيل في المثل "حج مبرور وذنب مغفور وتجارة لن تبور"[6]، أضف الى ذلك أن أن الحج كان مناسبة وفرصة يسمح وقته بالقيام بعمليات تجارية، كما أنه فرصة يستفيد منها التاجر اذ يضاعف رأس ماله، وفي ركاب الحج لا يتعرض التاجر للجمركة، وهذا ما شجع الحجاج على ذلك لعدم مراقبتهم من طرف الديوانية[7].

---

[1] العربي الزبيري: المرجع السابق، ص ص183,184.

[2] مختار بن الطاهر الفيلالي: المرجع السابق، ص83.

[3] رشيد حفيان: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية في العهد العثماني خلال القرنين11ـ12ه/17ـ18م، المرجع السابق، ص 60.

[4] عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 65.

[5] رشيد حفيان: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية في العهد العثماني خلال القرنين 11ـ12ه/17ـ18م، المرجع السابق، ص 60.

[6] محمد عمر مروان: الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مدينة غدامس خلال العهد العثماني الثاني 1261ـ1331ه /1835ـ1912م(دراسة من خلال الوثائق المحلية)، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه الدولة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عمار بن خروف، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005ـ2006م، ص 382.

[7] رشيد حفيان: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية في العهد العثماني خلال القرنين 11ـ12ه/17ـ18م، المرجع المرجع السابق، ص 60.

المبحث الثاني :مكونات القافلة .

تقود القوافل مجموعات بشرية اختلفت حسب مهامها معتمدة على الوسيلة الأساسية للنقل المتمثلة في الحيوانات التي يتم اختيارها وفقا لخصائص أهلتها لأن تؤدي هذا الدور لذا وجب الوقوف عند هذه المكونات سواء البشرية أو الحيوانية منها، مع تحديدها وإبراز مهمة كل واحدة منها .

أولا: المكونات البشرية:

تسير القافلة وفق نظام محكم تقسم فيه الأدوار كل في مكانه من خلال تركيبة من العناصر التي سيتم التفصيل فيها بداءً بماهية هذه العناصر وشروطها وأهم الأدوار التي تؤديها.

_ قائد القافلة:

من بين متطلبات القافلة في تنظيمها هو إختيار قائد لها يكون صاحب خبرة في تسييرها ومتمرنا بأصول التجارة وعبور الصحاري[1]، ويطلق عليه أيضا شيخ القافلة[2]، وهو المشرف على كل ما يتصل بتنظيم القافلة وإدارة شؤون التجار في أوقات الرحيل[3].

وتفاديا لأي مشاكل تواجههم، وكان يطلق عليه أيضا الرايس إذا يشترط فيه شروط [1]، أن يكون ممن له خبرة وتجربة سابقة في الأسفار البعيدة خاصة عبر المسالك الصحراوية[2]، وكذلك

[1] محمد عمر مروان: المرجع السابق، ص35.

[2] أبو عبيد الله محمد ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: علي المنتصر الكتاني، ط4، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1405ه/1985م، ص773.

[3] إسماعيل أحمد الجمال: تاريخ مدينة أودغست ودورها في حركة التجارة بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء (السودان الغربي)، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، حولية 8، جامعة الاسكندرية، 1436ه/2008م، ص ص50,48.

وكذلك التمرس في هذه الوظيفة لمدة طويلة لأنه يتحمل مسؤولية القافلة مسؤولية كاملة[3]، وكان قائد القافلة يعتمد إعتمادا كبيرا عن الكشاف لضمان الوصول لأصحابها أو وكلائها[4]، فقد ذكر الرحالة هورنمان فريد يرك في رحلته من القاهرة إلى مرزق بليبيا قوله: " واستيقضنا على صوت طبول شيخ القافلة قبل شروق الشمس لإستئناف السير وكان شيخنا قائد القافلة يتمتع باحترام وثقة رفاقه بما عرف عنه من شجاعة وإيمان وحصانة رأي[5].

أما دور الرئيس فهو يكمن في توجيه نواة القافلة وتنظيم سيرها الذى يتغير بتغير التضاريس، وحالة الأمن في الطريق والإرتباط بوزن الحمولة وثقلها[6] .

_ الأدلاء:

جمع دليل ويأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد القائد ويطلق علية أيضا اسم الخبير أو المنير أو المرشد باعتباره سائق القافلة[7].

ويرجع البعض أن النجاح الإقتصادي و الربح التجاري للقوافل يعود إلى الدور الكبير الذى يعلبه الدليل بحكم أنه الشخص الذى تعتمد عليه القوافل في رحلتها نظرا لخبرته، ومعرفته بأسرار المسالك الصحراوية لقد كان الدليل على علم كبير باتجاه المسالك التجارية لكثرة تردده عليها[8]، وكانت له دراية بالنجوم ومنازلها[1]، ويبدو أن هذه العادة المتمثلة في أخذ دليل لم تكن

---

[1] Daumas: le sehara ,Orgamisation d'une caravane,R,O,A,C,T.15,Paris,1854,p34.

[2] أوزايد بالحاج: المرجع السابق، ص97.

[3] محمد عمر مروان: المرجع السابق، ص 357 .

[4] جبريل أبو بكر علي: طريق القوافل وأثرها في تقوية العلاقات الثقافية بين ليبيا وجيرانها في جنوب الصحراء (ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي بعنوان تنقلات العلماء والكتب)،(د.ط)، كلية الدعوة الإسلامي، طرابلس، ليبيا، 1995م، ص 5 .

[5] رشيد حفيان: طريق القوافل التجارية بين الحواضر المغاربية في العهد العثماني خلال القرنين 11ـ12هـ/17ـ18م، المرجع السابق، ص 63.

[6] ابن بطوطة: المرجع السابق، ص773.

[7] Daumas: le sahara, op.cit,p164 .

[8] إسماعيل أحمد الجمل: المرجع السابق، ص 50.

جديدة على المدة الزمنية المتناولة بل هي قديمة إذا يمثل شيء أساسي لنجاح التجارة وإجتناب الوقوع في التيه[2]، وللدليل مسؤولية كبرى عن أي مكروه يصيب القافلة، وإن بقي على قيد الحياة بعد تعرض القافلة لأي حادث فإنه يحاسب على أخطائه ويدفع دية الأموات[3].

ويتمثل دور الدليل الأساسي في:

_ الإرشاد إلى الطريق الصحيح وإلى نقاط الماء[4]، وإيصال القافلة إلى غايتها وهدفها المرجو[5]، قد وردت عدة نصوص تؤكد ذلك منها: " والشوارع في حد ذاتها معقدة يصعب على الغريب أن يتعرف عليها دون دليل[6]، وكذلك "...ومعنا رجل من عرب الخنافسة* أكثرهم أمير الركب يدلهم على الطريق..."[7].

_ تجنب وقوع القافلة في خطر الطريق، بما أن الطريق تتطلب خبراء عارفين بمسالكها ومواضع مياها وأماكن قطاع الطرق واللصوص لتجنب القافلة مخاطر الطريق وهذه مهمة الأدلاء الذين يكونون في العادة من أصحاب الجمال .

---

1 محمد صالح حوتيه: توات والأزواد، دار الكتاب العربية، القبة، الجزائر، 2007م، ج1، ص 142.

2 عبد الرحمان بن خلدون: المرجع السابق، ص 216.

3 أحمد ذكار: حاضرة وارجلان وعلاقاتها التجارية بالسودان الغربي من السنة (1000-1301هـ/1591-1883م)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، إشراف محمد صالح حوتية، قسم التاريخ، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية، أدرار، 2009-2010م، ص 78.

4 مختار بن الطاهر الفيلالي: المرجع السابق، ص 86 .

5 العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 68.

*الخنافسة: خليط من القبائل الرحل التي تقود القوافل السودانية لهم ذكاء خارق ويتسمون بالحذر الشديد كما أنهم جنود بواسل يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم عند الحاجة وهم أوفياء لا يخنون العهد . ينظر: العربي الزبيري: نفس المرجع،ص161.

6 زهرة طموح: تنظيم القافلة خلال القرن 19 م، مج 2، (د.ط)، الدار البيضاء، (د.م)، 1989م، ص 295.

7 ابو سالم عبد الله بن محمد العياشي: الرحلة العياشية، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القريشي، مج1، (د.ط)، دار الإمارات العربية، (د.م)، 2006، ص 107.

أما عن شروطه:

فيجب أن يكون عارفا بالمنطقة فهو بمثابة الإبرة الممغنطة أو البوصلة وتشترط فيه الخبرة[1]، ومعرفته لمسالك الطريق ومواطن المياه وظروف الأمن وأماكن العصابات المهاجمة، وهوية المهاجمين وأساليبهم وتحركاتهم[2]، ومن صفاته أن يكون ذكيا، ومستقيما، وشجاعا، يعتمد في تحديد الإتجاه على النجوم عن طريق خبرته، ويتعرف على الطريق والآبار ومناطق الرعي، وتجنب الأماكن الخطيرة مثل لسعات الأفاعي والسموم لذا فإن هذه الصفات نجدها فقط في أبناء المنطقة لذا فهو يكون إختياره منها بحكم معرفته بها، لأن معرفة الطريق تتطلب معرفة إتجاهها، وطولها وأجزائها ومكوناتها ومعرفة المناطق المجاورة وأماكن الصحراء وهذا ربحا للوقت اللازم أثناء السير وتوجيه المسافرين والتجار.

وتم كراء الدليل بثمن معين كمثقالين من الذهب أو30 دورو فضية، هذا الثمن الذي يشترك فيه أصحاب القافلة مع العلم أن يختلف حسب طول الطريق وعدد الأيام والمحطات التي يقضيها الدليل ،لأنه أحيانا يتم استبداله في بعض المحطات مثلا: "واستأجرنا هناك رجلا يهدينا الطريق إلى بوسمغون بمثقال إسمه محمد بن عيسى*"[3] إذا كانت القوافل المغاربية أيضا المتجهة نحو السودان تتوقف في توات لتستأجر الأدلاء لتسير قوافلها نحو الجنوب[4].

---

[1] زهرة طموح: المرجع السابق، ص 297.

[2] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 50.

[3] أحمد بن محمود بن ناصر الدرعي: الرحلة الناصرية، (د.ط)، المطبعة الحجرية، (د.م)، (د.س)، ج1، ص ص29,30.

[4] مقلاتي عبد الله (أرموم محفوظ): دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية، ط1، دار الشروق، الجزائر، 2009م، ص 52.

ـ الحراس:

وهم مكلفون بحراسة القافلة[1]، وإبعادها عن أماكن الخطر[2]، ومن بين التنظيمات المسبقة لإنطلاق القوافل التجارية هو إتخاذ احتياطاتها من مخاطر الطريق، خاصة قطاع الطرق واللصوص لذا وجب عليها تكليف حراس لحماية القافلة و الدفاع عنها[3]، أثناء سيرها ليلا و نهارا من شر هؤلاء، اذا كانت من عادة التجار إستئجار حراس لحمايتهم من أخطار المناطق الغير الآمنة و يكون هؤلاء الرجال مسلحون بالبنادق، مقابل أجرة شهرية تتراوح ما بين 10و12 مثقالا[4]، ومن خصائص هؤلاء الحراس، القوة و الشجاعة وتنوع الإنتماءات القبلية حتى يكثر أنصارها و يصعب الإعتداء عليه[5].

ـ الرقاصون(سعاة البريد):

إذا كان دورهم هو تزويد القوافل بمجموعة من الأخبار، خاصة أوضاع الطريق من حيث الأمن والسلامة، وكذلك كمية البضائع المطلوبة ونوعها، وقد سمي كذلك بإسم "الستيار لسرعته في سيره وتوصيل ما تم تكليفه به"[6].

---

[1] عباس عبد الله: الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيراته في بلاد السودان الغربي من القرنين (9ـ10هـ/15ـ16م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف بشار قويدر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001/2000م، ص52.

[2] محمد صالح حوتيه: المرجع السابق، ج1، ص 142.

[3] أوزايد بالحاج: المرجع السابق، ص 100.

[4] مقلاتي: المرجع السابق، ص 52.

[5] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 50.

[6] محمد عمر مروان: المرجع السابق، ص217.

_ الإستخبارات:

عادة ما تنظم القوافل ما يسمى ب "شرطة صحراوية"[1]، على طول الطريق خلال ذهابها وإيابها وهذا من أجل مراقبة تحركات البدو الرحل نظرا للأخطار والقيام باستعلامات سريعة ومسبقة[2]، مهمتها إبلاغ القوافل بتحركات قطاع الطرق والعصابات البدوية وهذا من أجل أن تتجهز وتحتاط لحماية نفسها[3].

_ الشواف CHAUAFS:

ويطلق عليه أيضا اسم التكشيف KCHEF,TEKCHIF[4] ، وهو اسم يطلق على كل رجل رجل تكتريه القافلة بثمن متفق عليه مسبقا، وعمله ينحصر غالبا في أنه عند اقتراب القافلة من أحد المراكز التجارية المهمة في الصحراء الإفريقية الكبرى، يتقدم عن القافلة حاملا معه رسائل من تجار القافلة إلى أصحابهم بالمدينة المقصودة، ليكتروا لهم الدور للنزول بها مدة إقامتهم بها، وحسب ابن بطوطة فغالبا ما ينتمي هذا الشخص إلى قبيلة مسوفة ،فيقول في هذا المجال: "...واكترينا التكشيف في هذه السفرة بمائة مثقال من الذهب وهو من مسوفة.." [5]، ومهمته أيضا أيضا مساعدة الخبير أو الدليل في مهمته[6]، ويشترط أن يكون حاد النظر لكي يتمكن من رصد رصد أي تحرك قادم من بعيد لعدو أو لصديق[7].

---

[1] العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 112.

[2] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 50.

[3] رشيد حفيان: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية في العهد العثماني خلال القرنين11-12هـ/17-18م، المرجع السابق، ص 66.

[4] Daumas: Le Sahara, op-cit, p 36.

[5] ابن بطوطة: المرجع السابق، ص ص 774,775.

[6] Daumas: Le Sahara, op-cit, p37.

[7] أحمد ذكار: المرجع السابق، ص 78.

_ الكاتب (الخوجة):

ويقوم بمهمة الكتابة أثناء عملية التبادل[1]، ويقوم بتسجيل العقود الخاصة بالبيع والشراء وضبط الحسابات وتسجيل الوفيات إذا ما حدث في أعضاء القافلة[2].

_ الطبيب:

وهو شخص له معرفة بالأعشاب المفيدة[3]، لبعض الأمراض التي يمكن أن تصيب المسافرين[4]، خلال تنقلهم[5]، بما فيها لسعات العقارب و الثعابين و تجبير المكسور بالأعشاب الطبيعية التي يحملونها معهم أو تلك التي يلتقطونها من الأرض وهم يعبرون الصحراء[6].

_ الرسول:

وهو فرد يرسله قائد القافلة ليستكشف الطريق فيما يخص مواضع المياه من حيث توفرها من عدمه، باعتبارها نقاط ضرورية و هذا من أجل الإحتياط و تفادي مشاكل الطريق من حيث نقص المياه[7].

---

[1] Daumas: Le Sahara, op-cit, p36.
[2] Ibib, p36.
[3] محمد صالح حوتية: المرجع السابق، ج1، ص 142.
[4] عباس عبد الله: المرجع السابق، ص 96.
[5] أوزايد بالحاج: المرجع السابق، ص 100.
[6] Daumas: Moeurs et coutumes de L'Algere, Paris, 1853, p 329.
[7] رشيد حفيان: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية في العهد العثماني خلال القرنين11-12هـ/17-18م، المرجع السابق، ص 66.

_ الفقيه:

وهو المتفقه في الأمور الشرعية[1]، بحيث يكون قادرا على الإفتاء عما لبس لأعضاء القافلة[2]، من تساؤلات تتصل بالأمور الدينية[3].

_ المؤذن:

ويسمى كذلك بالمصلى أو الإمام، اذ أن القافلة في أوقات الصلاة تحتاج الى من يؤذن بالناس و يقوم بالصلاة بهم[4].

_ المرافق :

ليست كل عناصر القافلة تمتلك سلع بل هناك أفراد لها أدوار مخصصة تقوم بها، منها المرافق الذي يقوم التجار بإرساله مع القافلة مع السلع التي تجوب جهات مختلفة علما أن هؤلاء المرافقين مندوبين لأحد البيوت التجارية في جهات مختلفة[5].

_ الوكلاء:

ويعتبرون من العناصر المهمة في القافلة إذ عادة ما يتم إختيارهم على أساس قرابة الدم و النسب و يتمثل دورهم في الإهتمام بالمصالح التجارية[6]، وإعداد البضائع و المشترين و إخبار إخبار القوافل بالأسعار و السلع المطلوبة و أوضاع الحركة التجارية و تغيراتها[7]،

---

[1] عباس عبد الله: المرجع السابق، ص 96.

[2] أوزايد بالحاج: المرجع السابق، ص 100.

[3] محمد صالح حوتية: المرجع السابق، ج1، ص 142.

[4] رشيد حفيان: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية في العهد العثماني خلال القرنين11ـ12هـ/17ـ18م، المرجع المرجع السابق، ص 68.

[5] محمد عمر مروان: المرجع السابق، ص 364.

[6] أوزايد بالحاج: المرجع السابق، ص 101.

[7] Daumas: le sahara, op-cit, p38.

ويتم إختيار الوكلاء لأسباب منها بعد المسافات بين المراكز التجارية، و بغية تحقيق الربح، و ذلك يتطلب للتجار أن يكون لهم عيون في المناطق المختلفة لتزويدهم بحركة الأسواق من حيث السلع المطلوبة وأسعارها، كما أن الوكلاء يوفرون عناء السفر و نفقاته و في نفس الوقت السيطرة على العملية التجارية و سيتقبلون ما يرسل اليهم من السلع ، من طرف موكليهم و بالتالي تسهيل العملية التجارية[1] .

_ الترجمان :

يظهر دور وأهمية الترجمان مع وصول القافلة التجارية إلى إحدى البلدان الإفريقية، حيث تظهر الفوارق اللسانية بين المتعاملين من الجانبين، وقد كان دورهم ذو أهمية بالغة بالنسبة للتجار الجزائريين، على اعتبار أن جانب من العملية التجارية يتحقق بواسطتهم ووساطتهم بين طرفي المبادلة التجارية، فرغم أن هذه المبادلات التجارية في بداياتها الأولى كانت تعتمد على لغة الإشارة إلا أنه مع كثافة هذا النشاط عبر الأزمنة الطويلة لم يعد من المعقول إستدامة هذه الطريقة البدائية في التفاهم والحوار، كما أن ضرورة معرفة التجار بالسوق وأحوالها يقتضى أن تجرى الألسن بين المتعاملين[2]، يقول الوزان ذهبنا إلى أرض السودان، وقام أميرها بإكرامنا رغم أنه لا يفهم لغتنا ولا نفهم لغته ولكن كانت المحادثة مع أمير السودان بواسطة ترجمان[3]، ويذكر ويذكر ابن خلدون في تاريخه أن سلطان مالي منسى* موسى، حينما أرسل وفده للسلطان أبي الحسين بتلمسان كان يرافقها "...ترجمان من الملثمين المجاورين من صنهاجة..."[4] مما يؤكد

---

[1] محمد عمر مروان: المرجع السابق، ص ص 211,212.

[2] أوزايد بالحاج: المرجع السابق، ص 99.

[3] عبد الرحمان بلاغ: الحرف والمهن المرافقة لمسالك القوافل في المغرب الأوسط مراكز المسالك الصحراوية أنموذجا ، في دورية كان التاريخية، ع 24، يونيو 2014، ص 112.

- المنسى: هو لقب ويعني السلطان، اتخذه أمراء قبائل المانديغو بداية القرن 7هـ/13م. ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفارسي: وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ،1983م، ج2، ص 165.

[4] ابن خلدون: المرجع السابق، ص 316.

الحقيقة الدالة على مرافقة التراجمة للداخلين بالتجارة لبلاد السودان وبواسطتهم يتم تصريف شؤونهم وتدار عملياتهم[1].

ـ البراح:

يتولى مهمة الإعلان في وسط الركاب بصوت عال عند وقوع أي حدث أثناء الرحلة[2].

ـ المخبر:

قبل بلوغ القافلة إلى المحطة أو المراكز التجارية المقصودة سواءً ذهابا أو إيابا يقوم شيخ القافلة بإرسال أحد أفرادها للقيام بدور الإعلام أو الإخبار وهذا قبل وصول القافلة بيوم أو يومين وهذا بمثابة إعلان عنها في السوق ووصول الخبر إلى التجار والسكان وبموعد وصول القافلة[3] ، ويعتبر ذلك بمثابة إستراتيجية لجذب الأنظار ونشر الأخبار في أوساط البائعين والمشترين من تجار وسكان وبدو، و إتاحة المدة الزمنية لهم من أجل الوصول ليتم الإلتقاء و تعم الفائدة بينهم[4].

ـ رعاة الجمال:

عادة ما تأخذ القافلة في سيرها وقت للراحة و هذا من أجل تجديد طاقاتها خاصة فيما يخص وسائل النقل و هي الحيوانات، لذا فقد خصص نظاما لها هو تكليف رعاة للجمال[5].

---

[1] عبد الرحمان بلاغ: المرجع السابق، ص 113.

[2] Daumas: Moeurs et coutmes de ALgére op_cit, p329.

[3] محمد عمر مروان: المرجع السابق، ص 364.

[4] محمد عمر مروان: المرجع السابق، ص 358.

[5] رشيد حفيان: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية في العهد العثماني خلال القرنين11ـ12ه/17ـ18م، المرجع السابق، ص 68.

ثانيا: المكونات الحيوانية .

_ الإبل :

الجمل هو وسيلة النقل الرئيسية في القافلة التجارية البرية[1]، ثم يأتي بعده الخيل والبغال وغيرها من الحيوانات القادرة على حمل البضائع وقطع المسافات البعيدة وتحمل مشاق الطريق[2]، فظهوره الجمل أعطى فرصة مثالية لتعمير الصحراء و إستغلال مواردها الطبيعية وجعلها أيضا منطقة عبور للتجارة بين الشمال والجنوب[3]، و لقد لعب دورا أساسيا في تاريخ الصحراء بفضل ما يتميز به من خصائص عديدة جعلته وسيلة النقل المفضلة لتجار القوافل الصحراوية[4]، ولأنه يمتاز بالهدوء والصفاء فهو حيوان مطيع وسهل القيادة[5]، ويتحمل العطش والمسافات طويلة[6]، دون كلل أو ملل، وهي خاصية إنفرد بها هذ الحيوان دون غيره من سائر الحيوانات ولعل هذه الصفات هي ما جعل الله تبارك وتعالى يضرب لها المثل في كتابه[7]، قال تعالى:" أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلى الإبلُ كَيفَ خُلقَة "[8]، ولقد بلغ عدد جمال تلك القوافل في السنة الواحدة، 12 ألف جمل[9]، تقطع قوافل المحملة بالبضائع، يوميان ما بين35 إلى40 كلم لأنها تسير عادة بسرعة معدلها 3.5 إلى4 كلم في الساعة ولأن يوم المشي العادي يتكون من10

---

[1] الحسن عماري: العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي في بداية العصر الحديث من خلال كتاب وصف إفريقيا، في دورية كان التاريخية، ع9، سبتمبر 2010م، ص 35.

[2] عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 64.

[3] إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، (د.ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.س)، ص 44.

[4] عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 64.

[5] جميلة بن موسى: المرجع السابق، ص 33.

[6] مفتاح يونس الرباصي: ازدهار تجارة القوافل بين الدولة الحفصية ودولة الكانم والبرنو في العصور الوسطى، في مجلة السائل، جامعة 7 أكتوبر، كلية الآداب، بني وليد، ليبيا، (د.س)، ص 91 .

[7] حمد محمد الجهيمي: العلاقات التجارية بين مملكة غانا وبلاد المغرب فيما بين القرنين 3-5هـ/9-11م، كلية الآداب والعلوم، جامعة عمر المختار، ص 3.

[8] القرآن: سورة الغاشية ، الآية 17، ص592.

[9] عبد القادر زبادية: دراسة في إفريقيا جنوب الصحراء في مأثر ومؤلفات العرب والمسلمين، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د.س)، ص 43.

ساعات أما إن لم تكن محملة بالبضائع فيمكن أن تقطع ما بين 8إلى 20 كلم في الساعة، كما يمكنها أن تقطع 60كلم في اليوم، لكن هذه السرعة يمكن أن تؤدى إلى هلاكه، ويستطيع الجمل أن يحمل ما بين120 أو150كلغ[1].

_ الخيل والبغال:

من أهم المكونات الحيوانية للقوافل التجارية ووسائل نقلها إذ كانت مطلوبة ومرغوبة كثيرا[2]، خاصة في الصحراء لخاصية تتميز بها وهي الكر والفر في الحروب[3]، وقدرتها على تحمل الأثقال وقول العياشي "وقد قدمنا معنا بثلاثة من الخيل[4]، في أرض مزقت من حروثها النعال وألمت أخفاف الإبل وحوافر البغال..."[5].

[1] عثمان المنصوري: المرجع السابق، ص 152.

[2] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 53.

[3] أوزايد بالحاج: المرجع السابق، ص 102.

[4] العياشي: المرجع السابق، ص 74.

[5] نفسه، ص 113.

المبحث الثالث : نظم القافلة وسيرها.

تتخذ القوافل التجارية تنظيما محكما بدءً من الإنطلاق إلى إتخاذ التجهيزات المهمة من أجل الوصول إلى الهدف والعودة إلى الديار سالمة لذا سيتم التطرق في هذا المبحث إلى تنظيم القافلة وسيرها وكذلك أهم الصعوبات التي واجهتها والإجراءات المتخذة للحد من ذلك الصعوبات.

أولا: تجهيزات القافلة وسيرها.

يستغرق التحضير المحكم لإنطلاق القافلة بضعة أيام لتوفير إحتياجات رحلة فيها نوع من المجازفة والمغامرة، تدوم أكثر من 70 يوما ذهابا وإيابا لكون بضاعة العبيد تسير على الأقدام وتحمل شيئا من البضائع على رؤوسها، تنطلق التحضيرات بعقد جمعية عامة تضبط فيها مجموعة من الأمور منها:

_ أن تأخذ القافلة معها من هو عالم بأمور الصحراء ومن بينها قبيلة مسوفة[1]، وكذلك جهازا إداريا يتولى الإشراف على تنظيمها وترتيب شئونها، ويتكون الجهاز الإداري من رئيس ومساعديه ومجموعة من الأدلاء والحراس المسلحين في بعض الأحيان ويتكلفون بحماية القافلة وصد أي هجوم محتمل[2]، وكان المسافرون يكترون دليلا يقود القافلة لكي لا تضيع ويعرف أماكن الآبار والمسالك الآمنة ،التي يتخللها بعض المراعي وتنتشر على طولها الآبار[3]، كانت القافلة تعتمد على الإبل في سيرها لأن الإبل أهم وسيلة نقل متاحة لعبور الصحراء، ولهذا كان

[1] علوي حسن حافظي: سجلماسة وإقليمها في القرن 8هـ/14 م، (د.ط)، (د.ن)، المغرب، 1997م، ص 379.

[2] إبراهيم محمد أحمد بلولة: الهجرات والقوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية، في مجلة دراسات دعوية، ع9، فبراير 2005م، ص 64.

[3] بوداوية مبخوث: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في دولة بنى زيان، رسالة لنيل الدكتوراه دولة في التاريخ، إشراف عبد الحميد حاجيات، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2006/2005م، ص 315.

لابد من إقتناء الأعداد المطلوبة منها أثناء الإعداد للقيام بتلك الرحلة الشاقة [1]، التي تتطلب قوة وجهد بتسمينها وتركها سائهة في الرعي لفترة طويلة[2]، وكذلك تحمل القافلة معها جمالا إضافية من أجل التغذية وحمل الزاد ونقل الماء والأمتعة[3]، ولسد حاجياتهم من الغذاء فيأكلون لحمه ويشربون لبنه[4].

_ جمع المؤونة الغذائية التي تغطي حاجة القافلة طيلة السفر من الطعام واللحم المجفف والسكر والشاي[5]، والرفيس (أكلة شعبية) والدقيق والشحم والكبريت والملح والدهان والتمر الذي يعتبر الغذاء الأساسي لرجال القافلة نظرا لتوفره خلال الطريق ورخص ثمنه، كما يمكن استعماله كعلف للحيوانات[6]، وكذلك الزميطة الذي يتم صنعها من غلى الشعير[7]، وكل ما يمكن يمكن أن يحتاجوه من توفير قرب الماء الكافية من الحجم الكبير بمعدل قربتين لكل حمل، ويتم ضبط عدد الأشخاص الذين توكل إليهم مهمة قيادة الإبل وكذا اللذين تسند لهم مهمة الرعي والخدمات العامة من جمع الحطب وطهي الطعام والتحسس من الوضعية الآمنة في المناطق التي سيسيرون عليها وكذا حالة الآبار والمياه، ويحدد تاريخ الإنطلاق الذي يكون عادة في فصل الخريف بعد الإنتهاء من جني التمور[8]، لكي تتمكن القافلة من الذهاب والإياب قبل حلول حلول فصل الصيف الذي يهدد الركب بالعطش والتزود بالأسلحة المناسبة للدفاع بها في حالة ما إذا تعرضت القافلة لأي خطر بعد أن يتم التحضير الجيد والمحكم للرحلة، وإتخاذ كل

[1] الحسن عماري: المرجع السابق، ص 35.

[2] علوي حسن حافظي: المرجع السابق، ص 280.

[3] أوزايد بالحاج: المرجع السابق، ص 104.

[4] بودواية مبخوث: المرجع السابق، ص 317.

[5] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 49.

[6] محمد عمر مروان: المرجع السابق، ص 362.

[7] رشيد حفيان: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية في العهد العثماني خلال القرنين11-12هـ/17-18م، المرجع السابق، ص 74.

[8] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 49.

الإحتياطات اللازمة، ويعلن يوم خروجها بالطرق التقليدية، وفي حفل كبير بعد صلاة العصر تغادر القافلة التجمع السكاني[1].

_ فيما يخص الإنطلاقة الأولى للقافلة فهي لا تكون دفعة واحدة ففي الوقت الذي تغادر فيه الطلائع الأولى، نجد البعض الآخر لازال يحزم أمتعته، والبعض الآخر يحمل سلعه وقد جرت العادة هو خروج الناس لتوديع أصحابهم المرافقين للقافلة، وقد يسيرون معهم إلى مسافة يوم أو يومين لتوديعهم ثم يعودون[2].

_ ونفس الشيء يقال عن ركب الحجيج إذ يتم نشر الخبر بين أوساط الناس لمن يرغب في الحج لتتجهز الناس وتجهز أمتعتها مع تحديد موعد الإنطلاق الذي لا يكون عادة في وقت واحد إذ يتوافد الحجاج من كل فج للإلتحاق بالركب[3].

_ كان سير القافلة نحو 14 و15 ساعة في اليوم وعند وصولها إلى الواحة يتسابق التجار في استقبالها بحثا عن الصفقات، أما رحلة عودة القافلة فهي أشق وأكثر عناءً من رحلة الذهاب لأن حمل الجمال أكبر وأثقل، فكان الجمل الكبير يحمل على ظهره حوالى 250كلغ، أما الجمل الصغير فيحمل 80كلغ[4]، إن القافلة تسير من 40إلى 50 كيلومتر يوميا[5]، بسبب إختلاف المسافة بين كل نقطة وصول من مكان إلى آخر[6] ، فإن كان فصل الصيف فإنها تسير 50

[1] أحمد ذكار: المرجع السابق، ص 80.

[2] محمد عمر مروان: المرجع السابق، ص 281.

[3] العياشي: المرجع السابق، ص ص15,13.

[4] إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 59.

[5] محمد صالح حوتية: توات والقوافل التجارية (ضمن أعمال طريق القوافل)، المراكز الوطني للبحوث في عصر ما قبل التاريخ، التاريخ، الجزائر، 2001م، ص 36.

[6] يمينة بن أصغير حاضري: الحركة التجارية بالجنوب الشرقي الجزائري من القرن 4-11هـ/10-17م، في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، قسم العلوم الإنسانية، غرداية، 2012م، ص 16.

كيلومتر وهذا راجع لطول اليوم [1]، تبيت القافلة ليلتها الأولى قرب القصور لكي يتمكن كل من نسي شيئا من أغراضه أن يجلبه بكل سهولة[2].

_ الوقت المناسب لسير القافلة صيفا في الليل حيث تسير القافلة طيلة الليل وحتى الساعات الأولى من صباح اليوم التالي إذا تتوقف لتأخذ قسط من الراحة ثم تستأنف سيرها ليلا[3]، يقول ابن بطوطة: (ودخلنا صحراء شديدة الحر...وكنا نرحل بعد صلاة العصر ونسير الليل كله وننزل عند الصباح)[4]، أما في فصل الشتاء تسير في الفترة الصباحية لتستريح الإبل في الليل[5]، تسير حتى منتصف النهار وتتوقف لتناول وجبة الغداء وشرب الشاي ثم صلاة الظهر وتستريح قليلا [6]، ثم يخيمون على أنفسهم ضلالا تقيهم الحر[7]، وتنطلق ثانية على الساعة الثالثة والنصف بعد الزوال ثم تواصل سيرها إلى بعد المغرب حتى تتوقف للمبيت قرب بئر تقليدي أو ماء غدير، ويتم خلالها تجريد الجمال من الأحمال ويتركونها ترعى إلى غاية الصبح، ثم تنطلق الرحلة من جديد[8]، بعد أن تزودت بالماء الصالح للشرب وروت إبلها، وهكذا وهكذا تقوم بالمداولة إلى أن تصل إلى السودان الغربي بعد رحلة تدوم في أحسن الأحوال أكثر من ثلاثة شهور[9]، ولقد أشارت بعض الدراسات الغربية أن القافلة تجتاز الصحراء في فترة الشتاء[10].

---

[1] أوزايد بالحاج: المرجع السابق، ص 104.

[2] أحمد ذكار: المرجع السابق، ص 80.

[3] محمد إبراهيم فرغل: شبكة الطرق التجارية وأهم مراكزها في بلاد المغرب خلال القرنين 5/4هـ، في مجلة كلية الآداب، ع41، جامعة أسيوط، مصر، يناير 2012م، ص 137.

[4] ابن بطوطة: المرجع السابق، ص 775.

[5] محمد صالح حوتية: طريق القوافل، المرجع السابق، ص 36.

[6] محمد صالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ص 143.

[7] بودواية مبخوث: المرجع السابق، ص 314.

[8] أحمد ذكار: المرجع السابق، ص 80.

[9] محمد صالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ص 143.

[10] جميلة بن موسى: المرجع السابق، ص 52.

_ أما عدد الأشخاص المشاركين في القافلة فليس هناك عدد معين، أقلها اثنان إلى أكثر من ذلك يرتبط العدد بأمن الطريق فإذا كان الطريق آمنا يستطيع اثنان أن يأتيا بقافلة، أما إذا كانت به أخطار فالناس تكون في حاجة إلى بعضهم البعض، لا تسير القافلة دائما في خط مستقيم بل هي خاضعة للتعاريج عل نقاط الماء والمرور بالواحات كما تلتوى بسبب الظروف الطبيعية لتدور بالجبال وتتجنب الوديان[1].

_ وقد تتوقف القافلة بين محطة وأخرى للراحة والتزود بالمؤون وبعض السلع، أو حينما يبلغ شيخ القافلة أن الطريق الذي يسلكه غير آمن أو أن إحدى القبائل متربصة بقافلته، ففي هذه الحالة قد تمكث أياما اضطرارية لفترة قد تطول أشهرا أو قد يضطر شيخ القافلة إلى تغيير مسارها عبر طريق آخر قد يكون أطول ولكنه آمن، وفي هذه الحالة ستزيد أيام الرحلة[2].

_ وحال وصول القافلة فإن التاجر أو وكيله يقوم بتسجيل ما وصله من سلع مقارنا بما كتب في ورقة العدائل، أو مع السجل الخاص بحمولة القافلة والذي يتواجد دائما مع شيخها فإن حدث نقص فإنه يبلغ به من قام بإرسال تلك السلعة[3].

[1] محمد صالح حوتية : طريق القوافل، المرجع السابق، ص 36.

[2] محمد عمر مروان: المرجع السابق، ص 282.

[3] نفسه، ص 362.

المطلب الثاني: عوائق القافلة و حلولها.

عادة ما تتعرض القوافل التجارية العابرة الى الصحراء الكبرى الإفريقية من الشمال الى الجنوب أو العكس إلى مجموعة من العوائق بعضها طبيعية وأخرى بشرية تنعكس بالسلب على أرباحها.

أ _ صعوبات طبيعية:

_ التيه في الصحراء: بسبب نقص خبرة الدليل في بعض الأحيان بالمسالك و طرق القوافل التجارية، هذا ما يؤدي الى الزيادة في مدة الرحلة أو هلاك عناصرها[1]، و حتى الضباب يتسبب في تيه و ضياع القافلة في الصحراء[2].

_ الزوابع و الكثبان الرملية: تعتبر الكثبان الرملية من الصعوبات الطبيعية، وذلك لصعوبة السير عليها لمسافة طويلة لأنها تنهك الإبل الحاملة لأثقال البضائع، والسلع وتثقل من سير القافلة، إضافة إلى أن الرمال الصحراوية متحركة تبعا لحركة الرياح[3]، وتتسبب في عدم وضوح معالم الطريق[4]، وتشوش على عناصر القافلة طيلة هبوبها التي تستمر في بعض الأحيان إلى أسبوع كامل[5]، حيث تعمي هذه العواطف العيون وتقتل الرجال والدواب، ويجفف الحلوق مما يزيد من حدة العطش[6]، وتكون الرياح قوية خاصة في فصل الربيع والصيف[7]، وهناك رياح قبلية تحمل معها من الرمال ما يغطي الآبار حتى أن من يذهب مؤهلا أن يجد الماء في

[1] أحمد ذكار: المرجع السابق، ص 63.

[2] Daumas: Le Sahara, op-cit, p40.

[3] إبراهيم حامد لمين: التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الاجتماعي والثقافي، المرجع السابق، ص 82.

[4] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 46.

[5] أحمد ذكار: المرجع السابق، ص 63.

[6] عثمان المنصوري: المرجع السابق، ص 154.

[7] مبارك جعفري: علماء منطقة توات وتأثيرهم في السودان الغربي خلال القرن 12هـ/18م،في مجلة كان التاريخية، ع16، يونيو 2012م، ص 90.

الأماكن المعتادة، فلا يعثر على الآبار التي غطتها الرمال ويكون مضطر إلى أن يموت عطشا[1]، وتعمل كذلك هذه الرياح القبلية على جفاف الماء من القرب[2]، حيث يذكر محمد العربي الزبيري نقلا عن(موروا)، إن رياح الجنوب داهمت إحدى القوافل القادمة من تنبكتو سنة 1805 وكانت مكونة من ألفين رجل وألف وثمانمائة جمل لم ينجو منها أحد[3].

_ قلة الماء: فعادة ما تصادف القوافل مشكلة إنعدام الماء والكلأ بسبب الجفاف[4]، ويعد نفاذ الماء[5]، أو بعد المسافة بينها من أخطر المشاكل التي كانت تواجه القوافل التجارية أثناء عبورها الطويل للصحراء[6]، كان مصيرها واستمرارها على قيد الحياة ومدى نجاحها أو فشلها في في رحلاتها يتوقف على هذه المادة الحيوانية[7]، لأنها مهمة بالنسبة للإنسان والحيوان[8]، ولقد ذكر الوزان، في هذا الإطار، أن الماء بصحراء صنهاجة لا يوجد إلا على بعد مسافة سفر ستة أيام أو سبعة وفوق ذلك فهو مالح أحيانا مما يفسر هلاك الناس عطشا في الصحراء[9]، كما يمكن للقوافل أن تقطع ما بين يومين أو ثلاثة أيام بدون التزود بالماء وقد تقضي أحيانا أسبوعا أو أكثر بدون الحصول عليه[10]، ولذلك لعبت الآبار دورا مهما في توفير الماء للقوافل ويتبادلون

---

[1] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 163.

[2] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص 318.

[3] العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 163.

[4] الحسن عماري: المخزن المغربي والتجارة الصحراوية بين القرن 16 والقرن 18م، في مجلة الأمل، ع30،(د.م)، 2004 م، ص 144.

[5] محمد محمود عبيد الله: دور الحركة السنوسية في التجارة عبر الصحراء 1902/1843م، في مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، جامعة بنغازي، ع 17، أكتوبر 2016م، ص 8.

[6] إبراهيم حامد لمين: التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الاجتماعي والثقافي، المرجع السابق، ص 82.

[7] الحسن عماري: المرجع السابق، ص 35.

[8] الحسن عماري: المرجع السابق، ص 145.

[9] الحسن بن محمد الوزان الفارسي: وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ج1، ص 85.

[10] عثمان المنصوري: المرجع السابق، ص 174.

فيها أخبار الطريق، ويتعرفون على الأسعار[1]، ويأوون إليها للصلاة وعادة ما تكون الآبار محفورة في وسط الأودية وتختلف أعماقها باختلاف المنطقة التي حفرت بها، وإلى جانب البئر توجد سواقي ترد عليها الإبل و الغنم إلا أن هاته الآبار أحيانا تقل فيها المياه أو تغور[2]، بعض بعض الأماكن في الصحراء لا يوجد بها العشب الطبيعي، هذا ما يؤدي بمسيري القافلة أن يقدموا للجمال الشعير والحبوب والمأكولات التي تكون معهم[3].

_ العواصف الثلجية والبرد: في الشمال تكون هناك العواطف الثلجية أوقات الشتاء، ذلك أن الثلج إذا بدأ يسقط ليلا أصبحت القوافل مدفونة تحته ، ومخنوقة[4]، وليست القافلة التي يكسوها الثلج وحدها بل يكسو الأشجار المحيط بها أيضا ،بحيث تتعذر رؤية الطريق وتختفي المعالم للعثور على الجثث[5].

_ وفي فصل الشتاء أيضا تمتلىء الطرق بالأوحاء وتتعرض للإنهيارات من سفوح الجبال، بينما تمتلىء الأنهار بالمياه، وتزداد قوة التيار، ويؤثر البرد الشديد على المسافرين وحيوانات النقل، مما يجعل مهمة التجار أكثر صعوبة[6].

_ الحر: الذي يتعرض له تجار القوافل في مسالكهم خاصة الطريق الصحراوي[7]، فكانت الحرارة الشديدة في فصل الصيف تزيد من صعوبة السفر[8]، تصل في بعض الأحيان

[1] إبراهيم حامد لمين: التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الاجتماعي والثقافي، المرجع السابق، ص 82.

[2] محمد صالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ص 143.

[3] أحمد ذكار: المرجع السابق، ص 64.

[4] الحسن الوزان: المرجع السابق، ج1، ص 73.

[5] نفسه، ص 73.

[6] عثمان المنصوري: المرجع السابق، ص 145.

[7] رشيد حفيان: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين11-12هـ/17-18م، المرجع السابق، ص 86.

[8] عثمان المنصوري: المرجع السابق، ص 1

إلى خمسين درجة مؤوية[1]، إذ أن بعض السلع بسبب ارتفاع درجة الحرارة تتعرض إلى الذوبان خاصة الحساسة منها مثل: العسل، الزبدة، الشمع، وبالتالي كانت هذه السلع يفضل نقلها عن طريق البحر، مما أدى إلى بعض التجار والمسافرين إلى تجنب استعمال الطريق الصحراوي لشدة الحرارة ولقلة الماء فيه، هذه الحرارة خلفت في بعض الأحيان خسائر حيوانية[2]

ب_ صعوبات البشرية:

وتتمثل في الهجومات التي تعرض لها القوافل من طرف اللصوص وقطاع الطرق[3]، سواء سواء كانوا أشخاص أو قبائل[4]، الذين كانوا يتربصون بالقوافل بالقرب من آبار وعيون المياه التي ترتادها للتزود بالماء ويسلبون ما بها من بضائع وجمال بعد حدوث معارك دامية بينهم وبين التجار[5]، أكد لنا الوزان في وصفيه للطريق المؤدي من فاس إلى تلمسان قائلا "فلما ينجو التجار من شرهم لاسيما في فصل الشتاء[6]، ركب الحجاج لم يسلم من ذلك بل رغم القدسية والهيبة التي يحملها، وبين الجزائر وتونس لم تسلم أيضا القوافل من ذلك بل تفاهمت أكثر، كونها مناطق عبور خاصة لقوافل الحجيج وقد مورست هذه الظاهرة بأكثر خاصة في المناطق الصحراوية[7]، إذ كانت تجارتها تعترضها هجمات اللصوص وقطاع الطرق سواء كانوا من البدو

البدو

[1] مبارك جعفري: المرجع السابق، ص 90.

[2] رشيد حفيان: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11-12هـ/17-18م، المرجع السابق، ص 86.

[3] محمد عليلي: الاشعار الفكري في المغرب الإسلامي خلال القرنين 3.1هـ/9.7م، مذكرة لنيل شهادة الدكتورة في تاريخ المغرب الإسلامي، بلحاج معروف، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2015 .2016م، ص 273.

[4] إبراهيم حامد لمين: التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الاجتماعي والثقافي، المرجع السابق، ص 83.

[5] محمد محمود: المرجع السابق، ص 7.

[6] الحسن الوزان: المرجع السابق، ج1، ص 11.

[7] رشيد حفيان: أمن القوافل بين البلدان المغاربية خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص 27.

الرحل أو الطوارق* الملثمين[1] ، كما تعرضت السفن المغربية و الجزائرية التي تحمل التجار أو الحجاج أو البضائع إلى هجومات من القراصنة الأوروبيين انتقاما من غزاة البحر المسلمين أو طلبا للربح[2].

_ ويضاف إلى المشاكل التي تصيب القوافل مشكل الأوبئة والأمراض التي تفتك بعدد كبير من الجمال[3] ، التي تؤدي إلى هلاك الكثير من المشاركين في القافلة، وغالبا ما يحجب على القافلة من دخول السوق خوفا من نقل العدوى[4].

_ كما أن هناك مشكل الأسود والحيوانات المفترسة التي توجه القوافل، وقد أشار الحسن الوزان إلى وجود هذه الأسود بكثرة قرب 11 مركزا على الأقل، ويبدوا أن قلة عدد السكان ووجود مساحات كبيرة خالية أتاحا لهذه الحيوانات المفترسة أن تتكاثر[5].

_ أما عن مشكل الضرائب أو الرسوم الجمروكية إذ أن القوافل في تجارتها عادة ما تدفع ضريبة المرور على حمولتها وسلعها خاصة على حدود الأقاليم أو في مجال تنقلها، وكانت أكثر هذه الضرائب أو الرسوم الجمروكية تدفع على المحاور التجارية والأسواق[6]، وهذا ما جعل جعل البعض من التجار يمتنعون إلى الدخول إلى السوق والمراكز التجارية الكبرى خوفا من

---

[1] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 49.

*الطوارق: وهم المسوفة وينسبون إلى صناهجة ويرجع نسبهم إلى حمير وينتمون إلى قبائل لمتونة ويعرفون عند العرب بالملثمين الذين يقطنون لصحراء ويضمون العديد من القبائل، ويتكلمون لغة التماجغ. ينظر روسيل ووين هاو: تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا، تر: عبد الوهاب محمد الزنتاتي، دار غريب، القاهرة، 2009، ص21.

[2] عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 72.

[3] محمد صالح حوتية: توات والأزواد، ج1، ص143.

[4] إبراهيم حامد لمين: التبادل التجاري بين توات والسودان الغربي وأثره الاجتماعي والثقافي، المرجع السابق، ص 83.

[5] عثمان المنصوري: المرجع السابق، ص145.

[6] رشيد حفيان : الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين11-12هـ/17-18م، المرجع السابق، ص 90.

تسديد الضرائب خاصة القوافل كثيرة العدد[1]، مع العلم أن الأطراف التي كانت تفرض هذا الضرائب هي السلطة العثمانية خاصة في أسواق الشمال لأن دورها هو جمع الضرائب والرسوم، خاصة عند دخولها الأسواق فكانت بذلك ملزمة بدفع مبلغ معين عن كل حمل[2].

_ حيث أن المزاحمة الإنجليزية عملت على تحويل التجارة من طرابلس إلى مياه المحيط الأطلسي غربا عبر نيجيريا إلى كانو، ففي غات يدفع التجار 4 أو 5 فرنكا ذهابا، و9 فرنكات في الإياب للحمولة وفي كانو يدفعون من 25إلى 42 فرنك[3].

[1] محمد عمر مروان: المرجع السابق، ص 364.

[2] رشيد حفيان: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين11-12هـ/17-18م، المرجع السابق، ص 90.

[3] عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 50.

_ الحلول والإجراءات المتخذة :

لقد اتخذت مجموعة من الإجراءات والتدابير للحد من الصعوبات و المشاكل التي تعترض القوافل التجارية منها:

_ يقوم تجار القوافل بتزويد قوافلهم بالسلاح من أجل الدفاع عن أنفسهم وأمواتهم والتصدي لهجمات اللصوص[1]، وترغم المهاجمين على الإرتداد ودفع تعويض عن كل خسارة يلحقونها بها[2].

_ تأليف القافلة من رجال أقوياء أشداء محاربين وتنويع إنتمائهم للقبائل حتى يكثر أنصارهم ويصعب الإعتداء عليها[3].

_ تنظيم شرطة الصحراء على طول طريق القافلة خلال الذهاب والإياب لمراقبة البدو الرحل[4]، والقيام باستعلامات سريعة، ومسبقة[5]، مهمتها إعلام القافلة بأي خطر مسبق للإحتياط أو الإستعداد للمواجهة خاصة على الطرق الصحراوية [6].

_ اتخاذ أدلاء أو قياد عارفين بمسالك الطريق، ومواطن المياه وظروف الأمن[7]، وأماكن العصابات المهاجمة وهوية المهاجمين وأساليب هجومهم وتحركاتهم[8].

---

[1] رشيد حفيان: أمن القوافل بين البلدان المغاربية خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص 20.

[2] أوزايد بالحاج: المرجع السابق، ص 107.

[3] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 50.

[4] أوزايد بالحاج: المرجع السابق، ص 107.

[5] يحي بالحاج: المرجع السابق، ص 51.

[6] العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 112.

[7] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 51.

[8] أوزايد بالحاج: المرجع السابق، ص 107.

_ كان المسافرين والتجار يقمون بإغلاق أبوابهم بالأشواك لمنع الحيوانات المفترسة من دخولها.

_ ولحل مشكل الأنهار كانوا يقومون بالعبور بالقوارب أو الغواصات من خلال المعابر الأقل عمقا[1].

_ لحل مشكل قلة الماء كان يتم الإعتناء بقرب الماء حتى لا تسخن أو يتبخر ماؤها، فتلف بالثياب أو النباتات[2] ، ولقد كان التجار يلجأون إلى عدة طرق تضمن لهم قسطا من الراحة وقدرا من الماء اللازم لمواصلة السير[3]، وكانت القوافل تأخذ معها الماء الذي يكفي احتياجاتها إذ أنها تخصص بعض الجمال فقط لنقل الماء في القرب، وكانت القوافل أثناء رحلاتهم التجارية تقوم بتسوية الآبار المعرضة لخطر الزوابع الرملية وترميمها من الداخل بواسطة عظام الإبل الهالكة ثم يغطونها للمحافظة عليها[4]، ومع ذلك كانت الآبار تتعرض لعملية الردم فحل ذلك أن يقتل جمل ويستخرج الماء من بطنه، فيشرب بعضه ويقسم البعض الآخر إلى أن يتم العثور على البئر أو أن يهلك المسافرين عطشا[5].

_ تقوم القوافل في بعض الأحيان بتغيير الطريق إلى مسلك ثاني إن وجد أو التوقف ريثما زال الخطر كحل لتفادي قطاع الطرق[6]، وتضم القافلة أعداد كبيرة من الحراس المكلفين بالدفاع

---

[1] عثمان المنصوري: المرجع السابق، ص 146.

[2] نفسه، ص 154.

[3] العيفة شنايت: دولة بني مدرار بسجلماسة ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف موسى لقبال، معهد التاريخ، جامعة جامعة الجزائر، 1990 ـ1991م، ص ص 144,145 .

[4] الحسن عماري: المرجع السابق، ص 35.

[5] الحسن الوزان: المرجع السابق، ج1، ص 84.

[6] العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 113.

عنها كما تتعاون القوافل في ما بينها فيتجمعوا في قافلة واحدة حيث يكثر عددهم فتكون أكثر أمنا من هجمات قطاع الطرق ويحدث هذا خاصة في الطرق الغير آمنة[1].

_ كانت القوافل تتجنب انطلاق سفرها في فصل الصيف سواء كان ذلك ذهابا وإيابا وإنما كانت تفضل الخريف كي يستغل موسم برودة المناخ في نشاطها التجاري[2].

_ فرض ضرائب متنوعة على العربان مثل ضريبة العشر، ضريبة المرور[3]، التزامهم بتقديم الرجال لخدمة القافلة وإرشادها حتى لا تغلق في وجوههم أسواق الشمال التي يترددون عليها كذلك[4]، ولقد كان ملوك تلمسان يدفعون لبعض العرب إتاوات من أجل تأمين الطريق.

_ لقد كان التجار الجزائريون المتوجهون إلى المغرب والتجار والحجاج المغاربة المتوجهون إلى الجزائر والمشرق، يعتمدون على أنفسهم فكانوا يصطحبون معهم أسلحتهم الدفاعية ويستأجرون أحيانا بعض الرجال المسلحين لرد إعتداء المغيرين، كما كانت القوافل تصطحب معها أحد رجال الدين المرابطين إذ كان هؤلاء موضع إحترام من قبل قطع الطرق[5].

[1] إبراهيم حامد لمين: التبادل التجاري بين توات والسودان الغربي وأثره الاجتماعي والثقافي، المرجع السابق، ص 84.

[2] محمد صالح حوتية : طريق القوافل، المرجع السابق، ص 35 .

[3] أوزايد بالحاج : المرجع السابق، ص 107 .

[4] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 50 .

[5] عمار بن خروف: المرجع السابق، ص ص71,72.

_ خلاصة الفصل :

_ أن القوافل التي كانت تجول بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء تنقسم إلى قسمين منها التجارية البحثة التي تسير إلى مختلف الأسواق في المغرب وبمختلف الإتجاهات، والتجارية الدينية التي كانت وجهتها إلى الأرض المقدسة باتجاه بلاد المشرق، وفي نفس الوقت كانت تنتهز فرصة مرورها بمختلف المحطات للقيام بالمتاجرة، وقضاء أغراضها وحوائجها.

_ إن الفئات البشرية التي تتكون منها القوافل لم تكن فئة تجارية بالكامل، بل تختلف حسب أغراض وأهداف كل واحد منها إذ نجد القائد، والدليل، والخبير...إلخ، أما الفئة الحيوانية منها الجمال، والبغال... إلخ.

_ أما فيما يخص سير القوافل فيكون خروجها وفق تنظيم مسبق ومحكم، بداية من إختيار الوقت المناسب للخروج، وإختيار أهم الأسواق التي سيتجهون إليها، ومراقبة الطريق الذي سيعبرونه، وتجهيز الحمولة اللازمة لرحلة... إلخ.

_ إن العوائق والمشاكل التي تصادفها القوافل في طريقها كانت تقلل من نسبة أرباح لدى التجار، خاصة إذا تعلق الأمر بدفع ضرائب المرور، أو كراء حراس لحماية القوافل والسلع من قطاع الطرق، أو التخلف وعدم الوصول إلى الأسواق في الوقت المناسب بسبب الظروف الطبيعية، كالزوابع الرملية مثلا... إلخ، أما الحلول المتخذة للحد من هذه المشاكل فقد أدات إلى ربح الوقت وربح المال... إلخ.

الفصل الثاني

الأسواق والمعاملات التجارية بإفريقيا جنوب الصحراء

المبحث الأول: المسالك التجارية وأهم الأسواق ومراكزها.

المبحث الثاني: البضائع الصادرة والمستوردة.

المبحث الثالث: المعاملات التجارية بالأسواق السودانية.

المبحث الأول: المسالك التجارية وأهم الأسواق ومراكزها.

أولا: المسالك التجارية.

تعد الطرق والمسالك الصحراوية[1] من أهم الأماكن التي تمر عليها القوافل التجارية سواء أكانت متجهة إلى بلاد السودان أو القادمة منه نحو البلدان المغاربية، حيث كانت حلقت وصل بين الشمال والجنوب الذي شهد حركة تجارية نشطة، فكانت المسالك كثيرة، خاصة التي ذكرها أغلب الرحالة سواء العرب أو الرحالة الغربيين والمستكشفين الذين تتبعوا الطرق والمسالك، وذلك ضمن إطار الإستكشاف، ولهذا سنتعرض على أهم الطرق التي ارتكزت عليها الأقاليم الشمالية لإفريقيا والحواضر السودانية لجنوب الصحراء.

_ طريق مراكش إلى تمبوكتو:[2]

ويمر على تارودانت*، وتاوريت، وتندوف، ويخترق رمال إيقدي، وعرق شيش، ويتجه إلى تاوديني، كما يخترق الجوف شرقا مارا بأونان، وأروان متجها إلى تمبوكتو[3]، وقد سلكه الدكتور أوسكار لينز سنة 1880م[4]، وبما أن القوافل التجارية تمر على الطرق الرئيسية للعبور فإن هناك طرق فرعية تمر عليها أيضا، ولهذا الطريق فرعان:

_ الفرع الأول: يبدأ من تندوف متجها إلى الجرف الأصفر، وأوقلت العزل، ثم فرونة، وزمور، والقلتة، وسماميت، وحاسي بوتلان، ومن هناك فرع منه إلى تمبوكتو.

---

[1] ينظر الملحق: رقم 1، ص145.

[2] يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص44.

*تارودانت: مدينة عظيمة أساسها الأفارقة الأقدمون وتقع جنوب مراكش بالقرب من ساحل المحيط الأطلسي، وقد أدى موقعها على طرف الصحراء وقربها من الساحل إلى تنافس الدول التي قامت في المنطقة على السيطرة عليها، وقد ظلت تارودانت مركزا مرموقا لتجارة الصحراء حتى مستهل القرن 10هـ/16م . ينظر: الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص 305.

[3] إبراهيم مياسي: توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881ـ1912م)، (د.ط)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، (د.م)، 1996م، ص 50 .

[4] يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص 91.

_ أما الفرع الثاني: فيمر بقصر البرشان، وعطار، وأوجيفت، وتيوروت، على شاطئ المحيط الأطلسي[1].

_ طريق فاس[2] ومكناس إلى تمبوكتو[3]:

ويمر بواحات الساورة إلى توات، وأكابلي، وبئر تيريشومين، ومبروك ثم إلى تمبوكتو[4].

_ طريق وهران وأرزيو إلى تمبوكتو:

ويمر هذا الطريق على خيثر، ومشرية، وعين الصفراء، وفقيق، ويتبع مجرى واد زوزفانة إلى إيجلي حيث يلتقي بطريق فاس إلى تمبوكتو وقد سلكه الضابط كولونيو سنة 1860[5].

_ طريق مدينة الجزائر إلى تمبوكتو:

ويمر على البليدة، وبوغار، والأغواط، وغرداية، والقليعة، وعين صالح، وأكابلي، وبئر تيريشومين حيث يلتقي بطريق توات إلى تمبوكتو، وقد سلكه الضابط بالا، ولهذا الطريق فرع آخر من عين صالح إلى بئر عسيو، وتنتيلوست، حيث يتفرع إلى فرعين:

_ فرع إلى أقادم، وماو الواقعة شرق بحيرة تشاد، وكوكه جنوبها، وفرع إلى الجنوب الغربي نحو أقاديس حيث يتفرع هو الأخر إلى فرعين: فرع إلى سوكوتو، وفرع إلى كاتسينا[6].

---

[1] يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 44.

[2] إبراهيم مياسي: مقاربات في تاريخ الجزائر (1830-1962م)،(د.ط)، دار هومة، الجزائر، 2013، ص 35.

[3] يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، المرجع السابق، ص 91.

[4] عبد الكامل عطية: الروابط التجارية بين شمال وجنوب الصحراء الكبرى من خلال المصادر العربية والرحالة الأوربيين بين القرنين (15-19م)، في دورية كان التاريخية، ع23، www.kanhistorique.org، مارس2014، ص54.

[5] إبراهيم مياسي: التوسع الاستعماري(ضمن أعمال طريق القوافل)، المراكز الوطني للبحوث في عصر ما قبل التاريخ، الجزائر،2001م، ص51.

[6] يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص45.

ـ طريق سكيكدة وقسنطينة إلى مقيد والهقار إلى تمبوكتو:

ويمر على باتنة، وبسكرة، وتقرت، وورقلة، والبيض، وأمقيد، والهقار، وتيميساو، وأيفروان، إلى مبروك، ومنه وصولا إلى تمبوكتو، ولهذا الطريق فرع يبدأ من جنوب بسكرة، ويتجه إلى وادي سوف، ومن هناك إلى غدامس، وغات، وجبادو، وبلما، وأقاديم، وماو،وفرع من البيض إلى عين صالح، أما الفرع الثالث فيتجه إلى غات[1].

ـ طريق توات إلى تمبوكتو:

وتنطلق القافلة التواتية نحو مدينة تمبوكتو مخترقة أراضي قبائل التوارق بعد أن تدفع إتاوة مالية لمشايخ هذه القبائل نظير المرور بأراضيهم تعرف باسم (حق الطريق)، وتستمر القافلة في سيرها المرحلي الطويل قرابة الشهر والنصف تقطع خلالها هذه المدة مايقرب من 1300 كيلومتر بمعدل 45 كيلومتر في اليوم، حتى تصل إلى مدينة تمبوكتو، أما أثناء عودتها فتسلك الإقليم التواتي[2].

ـ طريق توات إلى قاو:

وينطلق هذا الطريق من عين صالح بتوات ثم الهقار، ثم غات، ثم كاهر إلى قاو، وقد ورد هذا الطريق في رحلة ابن بطوطة حيث أخذ هذا الطريق عند عودته من قاو إلى توات[3].

[1] يحي بوعزيز :تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص44.

[2] نفسه، ص45.

[3] إبراهيم حامد لمين: التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الإجتماعي والثقافي، المرجع السابق، ص81.

_ طريق طرابلس إلى تمبوكتو:

ويمر على سناون، وغدامس، وتيماسينين، والبيض، وبذلك يتصل بطريق قسنطينة إلى تمبوكتو، ولهذا الطريق فرع من غدامس إلى غات، وبيرعيسو، وأقادس، ثم إلى سوكوتو، وكاتسنا غربا، وإلى أقاديم، وماو شرقا[1].

_ طريق طرابلس إلى مرزق:

ويمر عبر سبهة، ثم إلى بئر بكر، وتيجري، وتومو(واحات كاوار)، حيث يتفرع إلى فرعين:

الفرع الأول إلى بلما، وأقاديم، وماو، وكوكه، بالتشاد.

الفرع الثاني فهو يتجه إلى أبشر شرقا بواديْ[2].

_ طريق من واحة الجريد في جنوب تونس:

تمر قوافله بورقلة، وسوف، وغدامس ثم يتجه إلى الجنوب[3].

_ وهناك طرق ومسالك أخرى لا تقل أهمية عن هذه الطرق ونذكر من أهمها: كطريق توات عبر أقبلي، وطريق عين صالح تمبوكتو، وطريق سجلماسة، تمبوكتو، غاو، وطريق غاو ليبيا، وغيره من الطرق الفرعية، لكن ومع حلول القرن التاسع عشر الميلادي بدأت تضمحل وذلك لعدة أسباب منها، وجود الإستعمار الأوروبي في القارة وإستحواذه على المسالك الصحراوية، وسيطرته على القوافل التجارية.

---

[1] يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص44 .

[2] إبراهيم مياسي: مقاربات في تاريخ الجزائر 1830ـ1962م، المرجع السابق، ص36. ـ أيضا: العربي الزبيري: المرجع السابق، ص36.

[3] عبد الكامل عطية: المرجع السابق، ص55.

ثانيا: أهم المراكز التجارية.

أ: في بلاد المغرب.

_ مركز غدامس:

تقع مدينة غدامس في الجنوب الغربي من طرابلس الغرب وتبعد عنها بحوالي ثلاثمائة كيلومتر[1]، حيث تعد من أهم المراكز الهامة والتي ترتبط تجاريا بمدينة تمبوكتو، وغاو، وجني، وأقادز، وتادمكة فأصبحت بذلك محطة مهمة جدا، ونشطت القوافل التجارية الغدامسية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي[2]، وقد وصفها العديد من المؤرخين في كتاباتهم حيث وصفها مارمول كاربخال بأنها" منطقة شاسعة ومأهولة وبأن أهلها أثرياء بالتمور، والأموال لأنهم يمارسون التجارة مع بلاد السودان[3]، أما الحسن الوزان الملقب بليون الإفريقي واصفا لنا هذه المنطقة بقوله: أهلها أغنياء، ولهم بساتين، ونخيل، وأموال كثيرة[4]، وتشتهر أيضا بصناعة الجلود، والذى قال عنها موسى بن أحمد السعدي عن هذه الصناعة قائلا: "بأنها بلد بالمغرب، ضاربة في بلاد السودان منها الجلود الغدامسية....."[5]، وقد كانت تشتهر بها القوافل التجارية الغدامسية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي[6]، وهذا ما نقله عبد الكامل عطية عن المؤرخ فليكس ديبوا في كتابه تمبكتو العجيبة والذي زار المدينة في نهاية القرن التاسع عشر ميلادي، إن حيا بكامله داخل مدينة تمبوكتو كان يترأسه التجار القادمون من طرابلس، كما أن حيا بكامله كان معروف باسم حي الغدامسية، وهذا نسبة إلى غدامس،

[1] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص296.

[2] عبد الكامل عطية: المرجع السابق، ص ص 51-52.

[3] مارمول كاربخال: إفريقيا، تر عمد حجي وأخرون، (د.ط)، دار الرباط للنشر، المغرب 1988، ج3، ص173.

[4] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص297.

[5] عبد الكامل عطية: المرجع السابق، ص52.

[6] نفسه، ص52.

ويعد ذلك الحي أرقى أحياء المدينة وأجملها[1]، ومن هنا ندرك قيمة مدينة غدامس كمركز تجاري له ارتباط بمدن ومراكز بلاد السودان[2].

ـ مركز فزان:

وهي أحد المحطات التجارية التي يتوقف عندها التجار للراحة، وقد سهل هذا الإقليم على القوافل التجارية عملية الإتصال والتبادل التجاري، وأحكم الصلة بين الرحلات الوافدة من الشمال إلى الجنوب، كما أن جل منتوجات البحر الأبيض المتوسط، والشمال الإفريقي من سلع، ومواد غذائية كانت ترسل إلى السودان عبر فزان، حيث يقول الحسن الوزان بأنها منطقة كبيرة جدا مسكونة فيها قصور عظيمة، وقرى كبيرة، كلها عامرة بناس أغنياء يملكون النخيل والأموال، ويجاورون كل من أقدز وصحراء ليبيا المتاخمة لمصر"[3].

كما قام سكان واحة هذا الإقليم بدور إيجابي في استقبال القوافل وإرشادها عند المغادرة، وتوفير احتياجاتها من المياه وغيرها من الخدمات الأخرى[4].

[1] عبد الحميد الجنيدي: مدينة تنبكت (تمبكتو) نشأة المدينة وتطورها، في دورية كان التاريخية، ع16، 2012، ص114.

[2] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص297.

[3] عبد الكامل عطية: المرجع السابق، ص 52.

[4] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص299.

ـ مركز بلاد الجريد:

تمتد بلاد الجريد من تخوم بسكرة إلى جزيرة جربة[1]، ومن مناطق هذه البلاد نذكر مدينة توزر*، وقفصة، نفزاوة**، كما أنها تنتج كميات وفيرة من التمر الجيد ولهذا يسمى الإقليم كله بالجريد أي بلاد التمر، وقد ربطتها مع السودان الغربي علاقات تجارية وطيدة عن طريق توزر[2].

ـ مركز وارجلان:

تقع وارجلان على خطي 50ـ30 شمالا 17ـ50 شرقا في حدود الجزائر الشرقية، وتبعد عن العاصمة الجزائر بمسافة 800كلم عن طريق البر، تحدها شرقا منطقة وادي ريغ، وغربا منطقة وادي ميزاب، وفي الجنوب الغربي المنيعة، وفي الشمال الحجيرة وقد حمل اسمها أكثر من مدلول منها: وارجلان، واركلا، واركلة وهي كلها أسماء لمنطقة واحدة وهي ورقلة[3]، وقد ورد ذكرها في مختلف المصادر منهم: مارمول كربخال الذي ذكرها باسم ورغلة[4]، وابن خلدون

---

[1] مارمول كاربخال: المرجع السابق، ج3، ص170 .

*توزر: بناها الرومان بصحراء نوميديا، تقع جنوب البلاد، سكانها أغنياء، عندهم أموال طائلة وكميات وافرة من التمر، ويرجع ثرائهم إلى تجارتهم الرابحة، إذ تشهد المدينة أسواقا هامة يقصدها الناس من مختلف القبائل. ينظر: مارمول كاربخال: نفسه، ص171.

*نفزاوة: وهي عبارة عن ثلاث قصبات متقاربة أهلها بالسكان، حيث تنتج تمرا جيدا، لكن الأرض لا تنبت فيها الحبوب، كما أنها تبعد عن البحر المتوسط بثمانية عشر فرسخا. ينظر: مارمول كاربخال: نفسه، ص172.

[2] رندة بن ناجي: العلاقات التجارية بين مملكة سنغاي وبلدان المغرب خلال القرنين16ـ17م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إشراف عبد الكامل عطية، قسم التاريخ، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2016/2015م، ص50.

[3] نفسه، ص53.

[4] مارمول كاربخال: المرجع السابق، ص166 .

وركـلا[1]، فـي حـين ذكرهـا العياشـي وركـلا بوضـع ثـلاث نقـاط علـى الكـاف هكـذا "ورڴـلا"[2]، أمـا الحسن الوزان فقد ذكرها وركلة[3].

وقد اكتسبت شهرتها الكبيرة لإرتباطاتها التجاريـة الواسـعة، ودورهـا المميـز فـي قيـادة قوافـل التجارة إلى بلاد السودان[4].

_ مركز توات:

يقع إقليم توات في جنوب غرب الصحراء الجزائرية، والتي هي جزء من الصحراء الكبرى الإفريقية، وتبعد عن عاصمة الجزائر بحوالي 1500كم[5]، وتعتبر توات من المراكز التجارية المهمة، فموقعها كواحة وسط الصحراء جعلها حلقت وصل بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي[6]، حيث عملت على تزويد التجار بما يلزمهم من ماء وغذاء، ويهتم سكانها بتجارة القوافل التي تمر على واحاتهم ذهابا وإيابا، وقد كان اليهود المحرك الأساسي لتجارة إقليم توات الذين لعبوا دورا مهما كوسطاء تجاريين[7].

---

[1] رندة بن ناجي: المرجع السابق، ص53.

[2] العياشي: المرجع السابق، ص114 .

[3] الحسن الوزان: المرجع السابق، ج2، ص13 .

[4] رندة بن ناجي: المرجع السابق، ص54 .

[5] فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادين (دراسة لأوضاع الأقاليم السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية)، أطروحة لنيل دكتوراه الدور الثالث في التاريخ، إشراف أبي القاسم سعد الله، معهد العلوم الإجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م، ص1.

[6] عبد الكامل عطية: المرجع السابق، ص52.

[7] نفسه، ص52 .

وقد أشاد ابن خلدون بعمرانها حيث يقول: "فمنها على ثلاث مراحل قبيلة سجلماسة وتسمى وطن توات، وفيها قصور متعددة تناهز المئتين أخذة من الغرب إلى الشرق"، وواصلت توات نشاطها التجاري في عهد السنغي وكذلك ذكرها المغيلي، ومنه أصبحت توات ملتقى طرق مهم لعدد كبير من القوافل[1].

_ مركز تغازة:

تقع تغازة في جنوب المغرب الأقصى بالقرب من البحر المحيط على الطريق الرئيسي للقوافل التجارية بين المغرب، وتمبوكتو، وقد زادت أهميتها لوقوعها على طريق القوافل التجارية الوافدة من الشمال الإفريقي إلى تمبوكتو[2]، كما كانت لقرية تغازة شهرة عارمة في الصحراء حيث كان الناس يتعاملون فيها بالقناطير المقنطرة من الذهب، مما جعلها مركزا هاما وسوقا لتجارة الذهب وغيرها من المنتوجات السودانية، والتزود ما أمكنها من واردات الشمال الإفريقي التي كان ينقلها التجار العرب المغاربة إلى هناك[3].

_ مركز سجلماسة:

تقع في الحدود الجنوبية الشرقية للمغرب، وهي من أهم المراكز التجارية الشمالية لما كانت تقدمه للتبادل التجاري بين الشمال والإقليم السودانية، وإزدادت أهميتها خاصة بعد ترك الطريق الرابط بين مصر وبلاد السودان[4]، وقد وصفها الحسن الوزان فقال: "سجلماسة عبارة عن اقليم يمتد على طول واد زيز ابتداءً من الحنك ونزولا نحو الجنوب على مسافة مائة وعشرين ميلا حتى تخوم صحراء ليبيا"[5]، وارتبطت سجلماسة بعلاقات متينة مع المراكز

[1] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص301 .

[2] نفسه، ص ص308 ـ 309 .

[3] رندة بن ناجي: المرجع السابق، ص55 .

[4] عبد الكامل عطية: المرجع السابق، ص52 .

[5] رندة بن ناجي: المرجع السابق، ص55.

التجارية بالسودان الغربي، فكانت القوافل تنقل البضائع المغربية إلى السودان وتأتي ببضائع السودان، وهذا ما كان له أثر إيجابي على الحالة الإقتصادية والإجتماعية لسكان سجلماسة، كما ازداد ثراؤهم بسبب هذه التجارة المربحة، وظلت تحتفظ بقيمتها إلى أن خربت أواخر القرن الثامن عشر الميلادي[1].

ب _ في بلاد السودان:

_ مركز تمبكتو:

تقع تمبكتو في الجهة الجنوبية من الصحراء، تأسست في القرن 5هـ/11م، من طرف عناصر من التوارق[2]، بينما يذكر الوزان على أنها قامت على يد المنسي سليمان خلال القرن 7هـ/13م[3]، ومنذ تأسيسها انطلقت كسوق تجاري يلتقي فيها تجار الشمال مع الجنوب، وتتم على أرضه المبادلات والصفقات التجارية[4]، تحظى مدينة تنبكتو* بموقعها النهري على نهر النيجر المطل على المحيط الأطلسي، وبذلك تكون البلدة الوحيدة التي تتحكم في الطرق البرية النهرية التي تفد إليها من مصر، والمغرب، وطرابلس عن طريق الصحراء، ومن أوروبا عن طريق المحيط ثم النهر، وقد أطلق عليها الأوروبيون المدينة عزيزة المنال غامضة الأسرار لا

---

[1] عبد الكامل عطية: المرجع السابق، ص52 .

[2] عبد الرحمان بن عبد الله السعدي: تاريخ السودان، (د.ط)، المكتبة الباريسية لتدريس الألسنة الشرقية، باريس، 1981.

*المنسي: هو لقب ويعني السلطان واتخذه أمراء قبائل الماندیغو بداية منالقرن7هـ/13م. ينظر: الحسن الوزان: المرجع السابق، ج2، ص165.

[3] نفسه، ج2، ص165 .

[4] محمد صالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ج1، ص145.

*تنبكتو: كلمة أمازيغية باللهجة الصنهاجية مكونة من كلمتين "تين" و "بكتو"، ومعناها يخص العجوز أو الخاص بالعجوز لأنها كانت أرضا ملْكا لعجوز من طوارق يمقشرن، وقد اختلف الناس في تسميته منهم من يسميها تمبكتو، وتنبكت، وتمبوكتو....وغيرها. ينظر: الحاج بنيرد: تاريخ تمبكتو منذ نشأتها إلى غاية القرن11هـ دراسة ثقافية وتاريخية، في دورية كان التاريخية، ع28، جوان2015، ص72.

تتجاوزها في ثرائها وجمالها أي بلد إفريقي آخر في ذهبها أو ملحها، وقد وصفها أبناؤها أيضا بأنها خير البلاد ولا نظير لها تعيش في حرية وأمن ورفاهية[1].

_ اشتهرت كذلك إلى جانب كونها مدينة إقتصادية بعلمها وعلمائها، حيث كانت مقصد لطلبة العلم[2]، وبقيت سوقا عامرة بها العديد من الدكاكين المتخصصة للتجارة، والصناعة وأهم تجارتهم الثياب القطنية التي يستبدلونها بثياب مصنوعة في أوروبا يأتي بها تجار من بلاد البربر فالتجارة كانت تمثل الشريان الرئيسي للحياة الإقتصادية في تمبوكتو[3]، يقصدها تجار المغرب العربي وتدر أموالا كثيرة للدولة من مداخيل الضرائب[4]، التي كانت تفرض على التجار والقوافل الوافدة إليه، وظلت على هذه الصورة إلى بداية الإحتلال الفرنسي[5].

_ وتذكر كوثر هاشم نقلا عن روني كاييه Rene caille أن مدينة تمبوكتو لا يوجد لديها مصدر للثروة ماعدا التجارة في الملح كما أن تربتها غير صالح للزراعة لذلك فإن التجارة بها نشيطة جدا، ومن بين السلع التي تباع في أسواقها الملح، والماء الذي يباع بواحد كوري، بالإضافة إلى الحطب المستعمل في الإشعال رغم قلته حيث يجلبونه من مدينة كانو ونفس الشيء بالنسبة للمؤون الضرورية كالقمح، الشعير، الأرز، الذرة البيضاء، الزبدة النباتية، العسل، القطن، القماش، الأدوات الجاهزة، الشمع، الصابون، الفلفل، السمك الجاف، الفستق.....وغيرها، التي كانت تجلب من سوق جني وأسواق بلاد المغرب[6]، وأشار فليكس ديبو ديبو (Flelix Dubois) أنه رأى في تومبكتو منازل مدمرة تحتوي بداخلها مخازن وسلع وهي

---

[1] محمد صالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ج1، ص170.

[2] أحمد ذكار: المرجع السابق، ص89.

[3] بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص297.

[4] أحمد ذكار: المرجع السابق، ص89.

[5] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص308.

[6] كوثر هاشم و قشاشني علي: مظاهر التبادل الحضاري بين الجزائر وبلدان الساحل الإفريقي مابين القرنين16_20م، ضمن أعمال الملتقى الوطني حول: التواصل الحضاري بين الجزائر وبلدان الساحل الإفريقي ما بين القرنين16ـ20م، جامعة الشهيد حمه لخضر وجامعة بالوادي، 25ـ26 أكتوبر 2017م، ص109.

بغرض التمويه عن اللصوص وقطاع الطرق، وفي الواحد منهم ما يقارب 50ألف فرنك من السلع[1]، وقدر حجم الأموال المتداولة في تنبكتو سنة 1895م 460ألف فرنك، وقال أنها لا تمثل إلا ثلث المبلغ الحقيقي، وقد تصل إلى 20مليون فرنك فرنسي، وتم تقييم حجم التجارة سنة 1898م في تومبكتو بحوالي مليونين وسبعمائة وستين 2760000 فرنك دون احتساب تجارة الأرز الذي تعرض للفيضانات[2].

_ مركز غاو:

تقع حاليا إلى الشمال الشرقي من العاصمة باماكو بجمهورية مالي، فقد مثلت الدور السياسي كعاصمة لإمبراطورية سنغاي، والدور الإقتصادي كمركز من المراكز التجارية للسودان الغربي[3]، ولقد مكانها موقعها الإستراتيجي على منحنى نهر النيجر بإشرافها على حركة الملاحة، وصفها الحسن الوزان بالمدينة العظيمة، وتحدث عن نشاطها الإقتصادي المتمثل في كثرة الأسواق وتنوع السلع التي ترد إليها من أوروبا وبلاد البربر[4]، كان ينعم أهل غاو بثراء نسبي، ويشتغلون التجارة في الكثير من الجهات الإفريقية وكثير من تجارهم يأتون من المناطق الداخلية بالذهب الذي يستبدلونه بالبضائع المستوردة من بلاد البربر[5]، وتشتهر مدينة غاو بسوقها الأسبوعي يباع فيه العبيد بأثمان بخسة لا يتجاوز ثمن العبد الشاب أو الأمة الشابة 16درهما[6].

[1] إبراهيم حامد لمين: التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الإجتماعي والثقافي، المرجع السابق، ص86.

[2] ابن بطوطة: المرجع السابق، ص25.

[3] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص309 .

[4] الحسن الوزان: المرجع السابق، ج2، ص169.

[5] بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص296.

[6] مارمول كاربخال: المرجع السابق، ص204.

جاو هي أكثر بلاد السودان ذهبا، وإن السلع التجارية الرئيسية فيها هي الملح، والودع، والنحاس، أما الملح فكان يرد إليها من تغازة، والودع من الهند بواسطة التجار المغاربة، والنحاس من تكدا[1]، كانت غاو* سوق كبيرة تتوفر فيها العديد من الدكاكين التي يملكها تجار من مختلف الأجناس[2]، وبها تجار أثرياء وترد إليها الأقمشة من المغرب وأوروبا، كما يوجد بالمدينة سوق للرقيق ينتعش عند قدوم التجار وسكانها تجار متجولون في المنطقة مع بضائعهم ويقصدها عدد لا يحصى من السود الذين يجلبون كميات كبيرة من الذهب ليشتروا بها بضائع مجلوبة من أوروبا ومن شمال إفريقيا[3].

ـ مركز جني:

تقع مدينة جني جنوب غرب تمبوكتو، تأسست في القرن 3هـ/9م[4]، كانت محاطة بسور له ثمانية أبواب، تتحول إلى جزيرة عندما يفيض الماء في غشت[5]، وأثناء ذلك يدخل إليها الناس والبضائع على طريق القوارب من تومبكتو، وأغلب سكانها تجار وقد قال عنها مؤرخ السودان عبد الرحمان السعدي "هي سوق عظيم من أسواق المسلمين"[6]، ويقصدها الكثير من التجار للتبادل التجاري بينهم[7]، كانت متوفر فيها بضائع الشرق والغرب ويقصدها تجار المغرب المغرب الأقصى وتجار وارجلان بعد أن يصلوا إليها عبر طريق تيمبكتو، وكما كانت ملتقى

---

[1] عباس كريم عبد: الصلات التجارية بين المغرب والسودان الغربي، مجلة كلية التربية الأساسية، ع4، قسم التاريخ، جامعة بابل، أيلول 2010م، ص52.

*غاو: يطلق عليها بعض المؤرخين السودانيين إسم كاغو، أو كاغ وأطلق المغاربة عليها إسم غاو، و كاغوا، واغو، جاو. ينظر: محمد صالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ص169.

[2] أحمد ذكار: المرجع السابق، ص90.

[3] محمد صالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ج1 ص196.

[4] نفسه، ص168 .

[5] أحمد ذكار: المرجع السابق، ص87.

[6] عبد الرحمان السعدي: المرجع السابق، ص12.

[7] بودراية مبخوت: المرجع السابق، ص299.

لتجار شمال الصحراء مع جنوبها[1]، وبها سوق كبيرة تشتغل طيلة الأسبوع تتم فيها عملية التبادل التجاري، وتبرم فيها الصفقات بين التجار الوافدين إليها من كل الجهات، يبيعون بضاعة شمال الصحراء ويشترون بدلها الذهب والعبيد[2]، وتتميز جني بثرواتها الحيوانية، والسمكية، والزراعية، ولا سيما القطن الذي يشتريه التجار المغاربة لتصديره إلى أوروبا مقابل أواني نحاسية، وأسلحة وغيرها من السلع[3].

يذكر المستكشف الفرنسي روني كاييه أن سوق جني يحتوي على كميات كبيرة من السلع، والبضائع مما هو ضروري للعيش، كما يوجد به نظام الصفوف لعرض السلع، حيث يضع التجار سلعتهم بسلال موضوعة بشكل دائرة[4].

_ مركز تاكدة:

تقع تاكدة شمال شرق غاو، عرفت باسم مدنية النحاس لتوفرها على مناجم كثيرة منه، وقد أصبحت سوقا تجارية مهما في السودان الغربي[5]، وشهدت حركة تجارية كبيرة في القرنين15 و16ميلادي، حيث كانت يقصدها تجار شمال إفريقيا من غدامس وتوات يبيعون فيها بضاعتهم ويشترون منها النحاس والعبيد[6]، وتدخلها سنويا أكثر من أثنى عشر ألف 12000جمل محملا بالبضائع من مختلف أقطار شمال إفريقيا[7]، كانت تسير القوافل من تاكدة

[1] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص306.

[2] أحمد ذكار: المرجع السابق، ص87.

[3] عباس كريم عبد: المرجع السابق، ص53.

[4] كوثر هشام و قشاشني علي: المرجع السابق، ص9.

[5] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص311.

[6] ابن بطوطة: المرجع السابق، ص404.

[7] نياني .ج. ت: تاريخ إفريقيا العام (إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر)، مج4،(د.ط)، المطبعة الكاثولكية، بيروت، 1988م، ص181.

إلى برنو حيث تجلب الجواري، والعبيد، والثياب وتصدر منها السلع إلى المغرب والنحاس الذي يحمله التجار إلى سلطنة مالي لإستبداله بثلث وزن النحاس ذهبا خالصا[1].

_ مركز أودغست:

أسست مدينة أودغست في القرن الثامن الميلادي في غرب إفريقيا، وتقع أثرها اليوم في جنوب موريتانيا، وصفها كل من البكري الإدريسي "بأنها مدينة كبيرة أهلة رملية يصل عليها جبل موت لا ينبت شيئا وحولها بساتين ويزرع فيها القمح بالقوس وسيفى بالدلاء"[2]، وكانت أودغست تتصل بخط تارودانت وسجلماسة بالمغرب وخط ينتهي عند ورجلة بالجزائر وتعتبر من الأسواق الكبيرة التي يكثر بها البيع والشراء، حيث أصبحت مركزا تجاريا هاما في كل أرجاء المناطق الصحراوية، إذ تصدر الذهب، والرقيق، والعاج، والصمغ إلى الشمال وتستورد التمور، والنحاس، والملابس[3].

_ مركز ولاتة:

هي إحدى مدن جمهورية موريتانيا الحالية، ورد إسمها عند ابن بطوطة ايوالاتن، وعند السعدي الاتا، ويقول عنها الوزان بأنها عبارة على مملكة صغيرة خاملة ليس فيها من المساكن إلا ثلاثة قرى كبيرة وأكواخ متفرقة[4]، بدأت ولاتة تحتل مكانها التجاري، على طريق الصحراء الجنوبي، بعد سقوط إمبراطورية غانة، وقيام مملكة مالي، التي ضمتها إلى حدودها، إذ اتجهت إليها القوافل عبر المنطقة الغربية من الصحراء الكبرى، وقد ارتبطت بعلاقات تجارية مع تنبكتو وباقية المراكز الأخرى[5].

---

[1] عباس كريم عبد: المرجع السابق، ص51.

[2] رندة بن ناجي: المرجع السابق، ص60.

[3] نفسه، ص60 .

[4] الحسن الوزان: المرجع السابق، ج2، ص161.

[5] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص ص 305.306.

_ لقد لعبت المراكز التجارية دورا مهما في تقوية أواصر العلاقات التجارية بين بلدان المغرب، وبلاد السودان، وازياد شهرتها.

المبحث الثاني: البضائع الصادرة والمستوردة.

سنتناول في هذا المبحث عن أهم البضائع الصادرة إلى السودان الغربي والبضائع المستورد منه.

أولا: البضائع الصادرة إلى السودان الغربي.

مما لاشك فيه أن هذا الترحال الكبير والشاق و الذي يستغرق أكثر من فصلين من الزمن بين الذهاب والإياب، والعابرة للآلاف الكيلومترات، ولأقاليم وبيئات وتضاريس جد متباينة ومتنوعة ويحتوي على نوع من المجازفة والمغامرة، وصاحبه معرض لكل الإحتمالات وعلى رأسها الهلاك، محركه ودافعه الأساسي هو الربح وبالتالي كان التاجر يختار بضاعته أحسن اختيار، وتكون من النادرة والمطلوبة وغير المعرضة للتلف أثناء الشحن والمحققة لربح كبير ولا تأخذ حيزا مكانيا كبيرا على متن سفينة الصحراء، ومن ضمن هذه البضاعة التي يصدرها إلى السودان الغربي نذكر:

_ التمور:

يتم جني التمر من شجرة النخيل التي تنبت في المناطق الصحراوية وهناك أنواع من التمور منها الغرس، دقلة نور، دقلة بيضاء... إلخ، ويعتبر من السلع التي يكثر عليها الطلب في منطقة السودان الغربي لإفتقار المنطقة من أشجار النخيل ولأهمية التمر عند سكان السودان الغربي لكونه غذاء كامل مع الحليب، يصلح حفظه ويستعملونه كمادة أساسية في غذائهم اليومي[1]، ويؤخذ من أسواق وادي سوف و توقرت و ورقلة ثم تحمل بكميات كبيرة إلى بلاد

[1] إبراهيم حامد لمين: التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الإجتماعي والثقافي، المرجع السابق، ص94.

السودان، وقد كان التجار في غالب الأحيان، رغبة منهم في توفير رؤوس أموالهم وإستعمالها في شؤون أخرى يتعاقدون مع المالكين فيقدمون أسعار البضاعة دون دفعها ولكنهم يتقاسمون الأرباح معهم بالتساوي[1]، ولقد كانت القوافل تقوم بتكسير التمر ونزع منه النوى ويوضع في أكياس من الجلد تسمى (الغرايـر) لكي يكون خفيف الحمل ويمكن أن يحمل منه أكبر كمية ممكنة على ظهر الجمال[2]، وهذه المادة هي أقدم بضاعة عرفت التصدير إلى إفريقيا جنوب الصحراء وتواصلت إلى ما بعد القرن التاسع عشر ميلادي[3].

ـ الجمال:

رغم كون الجمل وسيلة نقل لكن هو في حد ذاته بضاعة حيث يباع بعد الإستغناء عن خدماته، أو لكونه أصبح عاجزا على العودة محملا ببضاعة أخرى[4]، وهناك نوع من الجمال يدعى المهري* ينقل خصيصا لبلاد السودان لغرض بيعه، رغم أن ثمنه غير مرتفع بالمقارنة مع البغال والأحصنة لكنه يتاجر به لكونه لا يكلف التاجر شيئا حيث يمشي دون شحن ويأكل من أعشاب الأرض، وحتى إذا أصابه مرض ينحر ويؤكل أثناء الرحلة[5].

---

[1] العربي الزبيري: المرجع السابق، ص165.

[2] إبراهيم حامد لمين: التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الإجتماعي والثقافي، المرجع السابق، ص94.

[3] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص324.

[4] يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص52.

*المهري: هو نوع من أنواع الجمال الجيدة، والتي تتميز عن غالب الجمال العادية بكونها طويلة القامة نسبيا وشاحبة البطن، وفي غالب الأحيان يكون لونها أبيض، أو بني، تستعمل للسباق، أو لتنقل بعض الأشخاص الميسورين. ينظر: أحمد ذكار: المرجع السابق، ص75.

[5] نفسة، ص75.

_ الملح[1]:

فالملح هو السلعة التي كانت عند الشعوب تصل إلى مرتبة التقديس ، فكانت في الثقافة اليونانية سلعة مقدسة ومباركة، وعند شعوب شمال إفريقيا وجنوب الصحراء سلعة مميزة ولها المرتبة الأولى في الأهمية بين سائر السلع منذ فجر التاريخ[2]، وتروي القصص الشعبية والمورثة في ورقلة أن تجار القوافل من الأسلاف كانوا يشترون العبيد من بر السودان مقابل قطعة ملح ومرد ذلك أن مادة الملح نادرة[3]، ولا تغطي الطلب المتزايد عليها هناك، ومهمة في الحياة اليومية للسكان، إذ تدخل في مجالات كثيرة منها: الطهي، ودباغة الجلود، وفي تجفيف اللحم، وعلى هذا الأساس فهي جد مطلوبة وغالية الثمن وصلت في بعض أسواق السودان إلى وزنها ذهبا، ويتم مقايضتها بالمواد النفيسة حيث كان ثمن العبد الواحد قطعة ملح لا تزيد عن حجم رجله[4]، كما أُستعمل الملح في أقطار عديدة في السودان الغربي كسلعة للمقايضة في عملية الشراء والبيع وقد كانت قوافل الشمال تبيع جزء من بضاعتها خاصة الأدوات الحديدية وتعويضها بمادة الملح الذي تواصل به السير إلى إفريقيا جنوب الصحراء[5]، وحمولة البعير الواحد من الملح يصل ثمنها إلى عشرة مثاقيل من الذهب وقد تتجاوز ذلك بكثير حيث تصل إلى 40 مثقال من الذهب الخالص وظلت أسعار الملح ترتفع إلي أن وصل في ثمن حمل البعير من الملح إلى ثمانين مثقالا من الذهب[6]، وهذا يدل على أن الطلب كان كثيرا على سلعة

---

[1] ينظر للملحق: رقم2، ص146.

[2] عثمان حساني: البيئة الإجتماعية والإقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرن18م19م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف بن يوسف التلمساني، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006-2007م، ص152.

[3] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص 324.

[4] عبد القوي عثمان حبيب شوقي: التجارة ما بين مصر وإفريقيا، (د.ط)، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2000م، ص95.

[5] العربي الزبيري: المرجع السابق، ص165.

[6] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493-1591م)، (د.ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.س)، ص98.

سلعة الملح كلما توغلنا جنوبا ويمكن أن نجمل أسباب ارتفاع ثمن الملح في الجنوب إلي الأسباب التالية منها:

بعد أماكن استخراجه من المناطق الداخلية البعيدة، ثم المشقة الكبيرة التي يعنيها مستخرجي الملح، إضافة إلي مخاطر الطريق ثم حاجة أهل الجنوب الماسة والضرورية للملح، له استخدامات متعددة عندهم فهم يحتاجونه لتعويض أجسامهم يفقدونه من الملح أثناء التعرق الزائد وذلك بوضعه في الطعام ويستخدمونه لعلاج بعض الأمراض، واستخدام كعملة مقبولة في كل الأسواق حيث يقطع إلي وحدات صغيرة ويحمل خاصة وتستطيع أن تشتري به ما تريد من بضائع وسلع[1].

_ المنسوجات:

من ضمن البضائع التي كانت تصدر إلى السودان الغربي[2]، ومما ساعدها على ذلك توفر المادة الأولية في عملية النسيج من صوف الأغنام، و وبر الجمال وشعر الماعز، وهناك جناح خاص لها على مستوى السوق المحلية وتتم عملية نسجها وحياكتها بمناسج تقليدية داخل المنازل، وفي غالب الأحيان تقوم بهذه العملية النسوة، وتسوق محليا والفائض منها يصدر عن طريق القوافل إلي السودان الغربي ومن أهمها العباءات الصوفية، والوبرية، والأغطية، وبعض الألبسة البسيطة والخفيفة المصنوعة من الصوف والقطن، والخيام المنسوجة من وبر الجمال وشعر الماعز، والطاقيات، وأقمشة صوفية غير مصنعة تباع في أسواق السودان الغربي بأربعة فرنكات للمتر الواحد[3].

[1] عثمان حساني: المرجع السابق، ص152.

[2] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص333.

[3] العربي الزبيري: المرجع السابق، ص ص 166,165

ولقد ذكر ابن بطوطة في مشاهدته كما أن السودانيين كانوا يقومون بصناعة النسيج ولكن الكميات التي ينسجونها لم تكن تكفي حاجة السوق المحلية[1]، ومن ضمن البضائع التي كانت تصدر إلي السودان المنسوجات القطنية التي تدخل في صناعة الألبسة وخاصة اللونين الأبيض، والأسود المرغوب فيها لدى سكان إفريقيا الغربية وهذا النوع من المنسوجات يجلب إلي سوق الشمال من القطار الأوربية عن طريق تجار قسنطينة، وسكيكدة، وبجاية، ومنها يصدر عبر القوافل إلى بلدان إفريقيا جنوب الصحراء[2].

ـ التبغ (الشمة):

إن القوافل كانت تأخذ ضمن بضاعتها التجارية إلي السودان الغربي مادة التبغ، وعلى الخصوص نوع(الشمة) التي تستنشق بالأنف والتي كانت تستورد من وادي سوف على شكل حزم شبيهة بحزم(القرط) الذي يباع علف للمواشي، وتشحنها القوافل في القرابر إلي غاية سوق تومبكتو[3]، وبالرغم من أن التبغ (الشمة) كان يزرع في السودان الغربي إلا أنه كان الإقبال كثيرا على التبغ القادم من توات لأنه يختلف عن تبغ السودان الغربي لذلك كانت القوافل التجارية تحمله على ظهر الجمال في الشباك الذي يصنع من ليف النخيل كمحافظ خاصة للتبغ[4].

[1] عباس كريم عبد: المرجع السابق، ص53.

[2] أحمد ذكار: المرجع السابق، ص97.

[3] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص333.

[4] إبراهيم حامد لمين: التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الإجتماعي والثقافي، المرجع السابق، ص ص97,96.

_ الخيول:

لا تتوفر في منطقة السودان الغربي الخيول الأصيلة، بل لديها خيول قصيرة وصغيرة، يستخدمها أفراد حاشية الملك في تجولهم بالمدينة، والتجار في أسفارهم، أما الجيد الأصيلة فكانت تستورد من الشمال الأفريقي وخاصة من المغرب الأقصى، ولا تباع تلك الجياد إلا بعد أن تعرض على الملك، فيأخذ منها حاجته، ويدفع لصاحب الخيول قيمتها[1]، وإمتلاك الخيل يعتبر مظهر من مظاهر الثراء، فابن بطوطة لم يستطيع شراء حصان لترحاله من مالي، إذ عليه أن يسدد مبلغا قدره مائة مثقال من الذهب ثمنا للحصان، بينما استطاع أن يشتري من تكدا جملين بثلاثة وثلاثين مثقالا[2]، وكانت غاو سوقا رائجة لتجارة الخيول الأصيلة مع سروجها[3]، وهي مرتفعة الثمن والحصان يساوي في مدينة غاو من أربعين إلى خمسين مثقالا، ولقد كان تجار الخيول يحصلون على أرباح وفيرة من جراء هذه التجارة[4].

_ البارود:

ويوجد في كثير من الأماكن وخاصة غربي خنقة سيدي ناجي وفي الزيبان وبعضها يصنع بورقلة من مادتي الكبريت والملح، وكان الإقبال عليها كبيرا لكونها تستعمل ذخيرة للبنادق التقليدية في الحروب وفي صيد الحيوانات البرية[5].

---

[1] الحسن الوزان: المرجع السابق، ج2، ص166. أيضا: محمود كعت: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان وأكابر الناس، (د.ط)، هوداس، باريس، 1984، 175.

[2] ابن بطوطة: المرجع السابق، ص ص 699,691.

[3] مارمول كاربخال: المرجع السابق، ص ص 205,204.

[4] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص333.

[5] العربي الزبيري: المرجع السابق، ص166.

_ الأسلحة:

لقد كانت تصنع البنادق والسيوف التقليدية في الصحراء في كل من تقرت و ورقلة، وادي ميزاب، وتسوق عبر القوافل التجارية، وقد بلغ سعر البندقية أكثر من عشرين فرنكا، في أسواق جنوب الصحراء[1].

_ الكتب:

لقد كانت الكتب المخطوطة من البضائع الهامة التي تصدر من شمال الصحراء إلى جنوبها، وكانت أسعارها جد مرتفعة على عهد دولة سنغاي، وكانت تُسَوَق غالب الأحيان في سوق تومبكتو وكان يقبل على شرائها العلماء والحكام وطلبة العلم، وقد بلغ سعر نسخة من أحد القواميس ثمانين مثقالا[2]، ونتيجة لإقبال حكام وعلماء السودان الغربي على إقتناء الكتب تمكن التجار من الحصول على أموال ضخمة في بيع هذه السلعة التي كان لها رواج ملحوظ في المنطقة[3]، لقد كان العلماء في المغرب العربي سواءً من طرابلس أو الجزائر وتوات وتلمسان وفاس ومكناس ومراكش يرحلون إلى المدن السودانية للتدريس ونشر الثقافة الإسلامية حاملين معهم الكتب المخطوطة[4].

[1] العربي الزبيري: المرجع السابق، ص167.

[2] يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص51.

[3] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص330.

[4] إبراهيم حامد لمين: التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الإجتماعي والثقافي، المرجع السابق، ص97.

ـ ريش النعام:

لقد كان النعام موجودا بعدد كبير في جنوب الجزائر، وفي نواحي ورقلة على وجه الخصوص، يصطاده السكان لغرض الإستفادة من لحمه وشحمه طازجا ومجففا، أما ريشه الكبير أي ريش الجناحين والذيل فيجمع على شكل رزم وينقل عن طريق القوافل التجارية إلى السودان أين يقبل عليه التجار المحليون لشرائه، لكونه يستعمل في مجالات عديدة إذ تصنع منه تيجان توضع على الرؤوس في المناسبات وأثناء الرقص التقليدي، كما تصنع منه مراوح تقليدية ومظلات وبعض الأنواع من السجاد، ويعلق على مداخل المنازل تعبيرا على الترف والجاه[1].

لقد بلغ حجم تجارة ريش النعام في منتصف القرن 19م حوالي 25 مليون فرنك سنويا[2].

ـ الأدوات الحديدية:

لقد كانت تصدر من الشمال إلى السودان مجموعة من الأدوات الحديدية ذات الإستعمال الواسع، حيث يصنع معظمها محليا من قبل الحدادين والصناع التقليدين ومنها السكاكين، السيوف، أقفال المنازل، الألجمة الخاصة بالأحصنة والدواب، حلقات حديدية متنوعة الأحجام والأشكال تستعمل لأغراض مختلفة الفؤوس والمعاول، المناجل، السروج، البنادق، الدروع، السهام، الأقواس، والنشاب...وغيرها من الأدوات[3].

[1] العربي الزبيري: المرجع السابق، ص167.

[2] إبراهيم حامد لمين: التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الإجتماعي والثقافي، المرجع السابق، ص93.

[3] محمد محمود: العلاقة الثقافة بين السكان في الشمال وجنوب الصحراء الكبرى، أعمال ندوة التواصل الثقافي والإجتماعي بين الأقطار على جانبي الصحراء، منشورات كلية الدعوة الإسلامية وكلية الآداب، طرابلس، 1998م، ص57.

_ الأقمشة الحريرية:

وتجلب من الشرق الجزائري عن طريق تونس فلحمتها من الحرير الطبيعي، أما سداها فمن القطن ويعرف هذا النوع بالسوسة نسبة إلى سوسة بجنوب المغرب الأدنى، ومن ورقلة[1]، تحملها القوافل إلى مختلف أسواق السودان حيث تحقق لأصحابها أرباحا تقدر بأضعاف ثمن الشراء[2].

_ بضائع الزينة والرفاهية:

أغلبية هذه البضائع تأتي من القيروان ومن البلدان الأوربية وكذلك من بجاية، وقسنطينة، وسكيكدة منها العطور بمختلف أنواعها، الشاش، العمائم، الطاقيات، الأساور، والأقراط الذهبية والفضية والنحاسية، الحلي، العقود الزجاجية، الكتان بمختلف أنواعها، الأدوات المنزلية النحاسية، الكؤوس الزجاجية، القماش، القطن، المرايا ... وغيرها[3].

_ البضائع الغذائية:

من ضمن البضائع الغذائية المصدرة إلى بلاد السودان هي البضائع المطلوبة هناك والتي لا تتعفن في الظروف مثل البقول، التين المخفف، الزبيب، الشاي، السكر، القمح عند طلبه لكونه ثقيلا ونقله صعب أما عن الزيوت أجوادها ما يعصر في نوحي بسكرة وجبال الأوراس غير أنها لا تنتج من ضمن البضائع الغذائية المصدرة إلى بلاد السودان هي البضائع المطلوبة هناك والتي لا تتعفن في الظروف مثل البقول، التين المخفف، الزبيب، الشاي، السكر، القمح عند طلبه لكونه ثقيلا ونقله صعب أما عن الزيوت أجودها ما يعصر في نوحي

[1] عبد القادر زبادية: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، (د.ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1969م، ص34.

[2] العربي الزبيري: المرجع السابق، ص166.

[3] عبد القادر زبادية: ورقلة عروس مدائن الجنوب الجزائري، مجلة الأصالة، ع41، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1977م، ص145.

بسكرة وجبال الأوراس غير أنها لا تنتج إلا بكميات أخرى من بلاد الجريد يحملونها معهم إلى مختلف الأسواق[1].

وفي ظل عدم وجود إحصائيات مدققة عن سير العملة التجارية ما بين السودان وشمال الصحراء، وعدم تسجيل التجار لرحلاتهم كما فعل الرحالة الأوروبيون خاصة في الفترة ما بين القرنين16 و19م[2]، جعل جل المراجع تعمم نفس الصادرات إلى البضائع الإستهلاكية من مواد غذائية وألبسة، وبضائع كمالية من أحصنة وحرير وعطور، وبضائع الإستعمار اليومي في المنازل من سكاكين وأواني منزلية، وبضائع الاستعمار الفلاحي من مناجل ومعاول وفؤوس، وبضائع الاستعمال العسكري من سهام ودروع وبنادق وبارود، وبضائع موجهة للعلم والثقافة والتعليم من ورق وحبر وكتب وأقلام[3].

[1] العربي الزبيري: المرجع السابق، ص165.

[2] ناصر الدين سعيدوني: ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني، في مجلة الأصالة، ع41، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1977م، ص71.

[3] يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص56.

ثانيا: البضائع المستوردة من السودان الغربي.

تستورد أسواق إفريقيا جنوب الصحراء من السودان الغربي العبيد والذهب ومُرَاد من ذلك وفرتهما بقوة في الأسواق والطلب المتزايد عليهما، وفائدتهما العالية جدا وأيضا يوجد بضائع أخرى تستورد من السودان الغربي في القرن 19م نذكر منها[1]:

_ الذهب:

تعد مادة الذهب أهم بضاعة تصدر إلى أقطار المغرب العربي من القرن 10م إلى غاية القرن 19م، ولم يتوقف هذا السيل إلا بدخول الإستعمار الغربي هذه الأقطار، ومصدر الذهب رافد نهر النيجر والسينغال[2]، وخاصة منطقتي نقاره التي تبعد عن مالي بثمانية أيام[3]، وغَايِروا وبلاد الفُروين، وكوغة إلى الجنوب الغربي من غانة[4]، وكانت كميات الذهب في تلك المناطق كثيرة حتى أن لملك غانة وحدة إثنى عشر معدنا يستخرج منها التبر[5]. ونظرا لوجوده بكثرة في السودان الغربي قد كتب عنه بعض الكتاب روايات تصل أحيانا إلى درجة المبالغة في طريقة جمعه، فقد ذكر ابن حوقل أن الذهب ينبت ببلاد غانة في الرمال كما ينبت الجزر ويقطف حين بزوغ الشمس[6]، كما أورد العمري في رواية عن الملك المنسي موسى ملك مالي عند زيارته

[1] يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص56.

[2] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص319.

[3] الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، (د.ط)، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د.س)، ص8.

[4] أبو عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، (د.ط)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.س)، ص176.

[5] أحمد بن سعيد بن عبد الله الشماخي: كتاب السير، تح: أحمد بن سعود السيابي، ط2، وزارة التراث القومي والثقافي، عمان، 1992، ج1، ص407.

[6] أبي القاسم ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض، (د.ط)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996، ص87.

للقاهرة في رحلة الحج أن هناك نوعا من الذهب يجمع في زمن الربيع عقيب الأمطار ينبت في الصحراء وله ورق شبيه بالنخيل أصولها التبر[1].

ولقد ذكرت بعض المصادر العربية أن الملوك كانوا يحتكرون الذهب، فهو ملك للسلطان، تجمعه الرعية ولا يسمح لهم بأخذ شيء منه إلا بإشرافه[2]، والملك يختار الندرة من الذهب، وهو ما بين أوقية إلى رطل، ويمنع خروجه من أرضه لكي لا يكثر بأيدي الناس فتقل قيمته[3]، ولقد أدى احتكار الملوك للذهب إلى ظهورهم بمظهر الثراء العريض حيث إن ملك غانة كان يطلق عليه كيمغ، ومعناها ملك الذهب[4].

_ العبيد:

تعد تجارة العبيد من أقدم التخصصات التي كانت تدخل ضمن تجارة السودان الغربي وكانت لها أسواق خاصة في مختلف المدن السودانية[5]، وأكبر سوق لها كان في غانة حيث يجلب إليه العبيد من مختلف الجهات، وتتم عملية الحصول على العبيد بين الأفارقة أنفسهم عن طريق الأسر في الغزوات التي تقع بين القبائل، أو عن طريق القنص و الإختطاف، أو يباعون من طرف أوليائهم بسبب الفقر، وكان العبد يباع في بعض الحيان بكمية من الملح لا تتجاوز واحد كيلو غرام، وإرتفع ثمنه ووصل قبيل الإستعمار الأوروبي للقارة إلى حمل بعير من الملح [6]، وبعد شرائهم ينقلون من إفريقيا جنوب الصحراء إلى شمالها والأغلال في اعناقهم والسلاسل في أقدامهم، ولا يركبون على الجمال إطلاقا بل يقطعون ألاف الكيلو مترات سيرا على الأقدام لمدة تصل إلى 90 يوما، يشتري أغلبهم تجار الشرق الجزائري بجاية، سكيكدة،

---

[1] أحمد بن يحي بن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: مصطفى أبو ضيف أحمد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1988، ص68.

[2] نفسه، ص ص 74-75.

[3] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص320.

[4] محمود كعت: المرجع السابق، ص41.

[5] العربي الزبيري: المرجع السابق، ص168.

[6] عبد القوي عثمان: المرجع السابق، ص95.

قسنطينة الذين هم بدورهم يصدرون من الأقطار الأوروبية[1]، تراجعت تجارة العبيد عبر السواحل خلال القرن 19 م، خاصة بعد ما ألغت بريطانيا تجارة الرق في إمبراطوريتها سنة 1830م وفرضت حصارا بحريا على إفريقيا ضد هذه التجارة فتبعتها إسبانيا سنة 1835م، والبرتغال سنة 1860م، لكن رغم ذلك استمرت القوافل في نقل العبيد عبر الصحراء من اسواق السودان الغربي[2].

_ الجلود:

تستورد هذه المادة كذلك من السودان وهي جد مطلوبة في الأسواق المحلية لكونها تدخل في صناعات تقليدية عديدة مثل صناعة الحقائب[3]، والأحذية ومحافظ النقود والأوراق وأدوات تجميل للمرأة والسروج وتغلف بها أغماد السيوف ،والسكاكين ،وأكياس تدعى المزود وتجلب منها أنواع عديدة منها وجلود الغنم وجلود الإبل والبقر والماعز المدبوغة وجلود الحيوانات المفترسة من النمور والأسود وجلود الأفاعي[4].

[1] ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص84.

[2] إبراهيم حامد لمين: التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الإجتماعي والثقافي،المرجع السابق، ص ص 89-90.

[3] ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص84.

[4] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الاسقيين، المرجع السابق، ص223.

_ العاج:

كذلك من ضمن المستوردة العاج الذى هو في الأصل أنياب الفيل ويباع في مدينة كانو لجميع التجار الأجانب بخمسين سنتيما للكيلوغرام، ثم يشتريه سكان واحات الجزائر بما يعادل 6فرنكات وهم بدورهم يصدرونه إلى الأقطار الأوروبية على حالته الطبيعية كمادة خام[1]، للإشارة فإن مادة العاج تصنع منها مقابض السيوف، والسكاكين، وبعض التحف الثمينة[2].

_ التوابل:

تنمو في السودان الغربي أصناف عديدة من التوابل ومنها على الفلفل الأكحل، والزنجبيل، والقرفة، وهي غالية الثمن ورغم ذلك يقبل عليها التجار لكونها مطلوبة جدا ومفضلة في الأسواق المحلية، وتباع بأضعاف مضاعفة ، وتصدر إلى أوروبا عن طريق الشرق الجزائري.

_ بيض النعام:

يجلب من الأسواق السودانية في صورتين إما فارغ من المح ومغلق في بعض أجزائه بالجلد ومزين بريش النعام ويستعمل للزينة في المنازل، أو بيضة في شكلها الطبيعي تستعمل في تحضير العقاقير لمعالجة بعض الأمراض[3].

_ النحاس:

يتم اقتناء النحاس من تاكدة على شكل قضبان صغيرة أعدها أصحابها خصيصا للتصدير[4]، بعد استخراجه من المناجم الموجودة بكثرة حيث أنه بمجرد أن يحفز الأهالي الأرض يجدون النحاس الخام يأخذونه إلي أماكن خاصة ويتم صهره وتحويله إلي قبضان ويباع على

[1] العربي الزبيري: المرجع السابق، ص168.
[2] عبد القوي عثمان: المرجع السابق، ص107.
[3] نفسه، ص103.
[4] عباس كريم عبد: المرجع السابق، ص53.

شكل مجموعات تحتوى كل واحدة منها على أربعمائة قضيب طول كل قضيب شبر، يشترى من طرف تجار المغرب، ورقلة، وتلمسان ....إلخ يشتري الصناع التقليديون المحليون جزء منه، وبياع الفائض إلى تجار قسنطينة الذين يصدرون بعضه إلى الخارج وتدخل مادة النحاس في الصناعات الحربية الأسلحة والذخيرة[1].

_ الشب:

تستورد هذه المادة من منطقة كوار شمال بحيرة تشاد، في الجهة الشرقية للسودان الغربي يقبل عليها تجار مصر وشمال الصحراء وخاصة المغرب الأقصى والجزائر يستوردون منها النوع الممتاز الذي يكون لونه أبيض أما الأنواع الأخرى الحمراء، والخضراء[2]، فلا يستوردونها نظرا لكونها رديئة ويستعمل الشب في مجالات عديدة منها تثبيت الألوان على الثياب وفي المجالات الطبية التقليدية[3].

_ القديد:

يأتي القديد من الأسواق السودانية وهو عبارة عن لحم المواشي والجمال وبعض الحيوانات البرية الإفريقية وحتى لحم النعام[4] مجفف بطريقة تقليدية، ويستعمل في هذه العملية الملح بالدرجة الأولى، وبعد ذلك يصبح قابلا للحفظ والتخزين والنقل.

[1] أحمد ذكار: المرجع السابق، ص103.

[2] عبد القوي عثمان: المرجع السابق، ص105.

[3] العربي الزبيري: المرجع السابق،ص172.

[4] نفسه، ص172.

_ الجبن المجفف:

يجلب من السودان الغربي مادة الجبن المجفف[1]، أو ما يعرف محليا باسم (الكليكلة) وهو عبارة عن حليب للمواشي والجمال والأبقار ويتم تجبينه وتجفيفه بطرق تقليدية، يصبح قابلا للحفظ والتخزين لمدة زمنية طويلة، ويمكن نقله بالأكياس، ويستعمل خميرة للعجائن، ويضاف إلى الحليب بغرض تجبينه أو تحميضه.

_ الفول السوداني:

يستورد الفول السوداني[2] المعروف لدينا باسم (الكوكاو) من إفريقيا جنوب الصحراء بكميات كبيرة جدا بحيث أنه يكون متوفر في السوق المحلي بشمال في الفصول الأربعة، كما يصدر للأسواق الداخلية كبجاية، وسكيكدة، وقسنطينة، والمسيلة[3]، واشتهرت السودان بإنتاج الفول السوداني وتخصصه فيه حتى سمي بإسمه، وهو يزرع في السودان الكبير كله[4].

_ الحنة:

يشتري التجار من الأسواق السودانية الحنة وهي عبارة عن نبتات ذات أوراق كثيفة وخضراء، وتنبت بإفريقيا جنوب الصحراء على شكل أشجار كبيرة يصل إرتفاعها لشجرة الزيتون، ويتم حصدها، وتجفيفها، وتسويقها وتستعمل في مجالات الزينة وتباع في سوق الشمال[5].

---

[1] يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص53.

[2] ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص84.

[3] Rozet et curette: L'ALGÉRIE, Paris, 1850, p313.

[4] عباس كريم عبد: المرجع السابق، ص54.

[5] البكري: المرجع السابق، ص168.

_ الصمغ :

يجلب التجار مادة الصمغ من السودان الغربي ، وهي مادة نباتية و يستخرج من أشجار الصمغ، ويستعمل في مجالات عديدة منها صناعة الحبر والعقاقير الطبية الشعبية[1]، وينقسم الصمغ إلى قسمين الصمغ الأشقر والصمغ البني يتم جنيه بين شهري نوفمبر وماي[2].

_ الأغنام:

يستوردون التجار الأغنام من نوع سيدوان(أغنام تتميز بوجود الشعر على جلدها بدل الصوف)، من أسواق إفريقيا جنوب الصحراء بكميات لكنهم يبيعونها في الحواضر التي تقع على خط القوافل خاصة في منطقة عين صالح وتوات ومن النادر جدا أن تصل منها شاة إلى الشمال[3]، يرتفع ثمن الأغنام عند نزول المطر، وتوفر الكلأ ويرخص ثمنها في مواسم الجفاف[4].

_ بضائع مختلفة:

بالإضافة إلى البضائع السابقة الذكر والتي كان يشتري منها التجار بكميات أقل، كذلك يجلبون معهم مواد أخرى وبكميات أقل ، وهي الأقمشة السودانية المزركشة أنواع عديدة من البخور، والعسل، والسمن، وجوزة، الكولا وبعض التقليدية الموجهة للنساء...إلخ[5].

---

[1] هوينكز (اج): التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية، تر: أحمد فؤاد بليع، (د.ط)، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1998م، ص161.

[2] إبراهيم حامد لمين: التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الإجتماعي والثقافي، المرجع السايق، ص94.

[3] هوينكز(اج): المرجع السابق، ص162.

[4] إبراهيم حامد لمين: التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الإجتماعي والثقافي، المرجع السابق، ص92.

[5] هوينكز(اج): المرجع السابق، ص162.

_ المبحث الثالث: المعاملات التجارية بالأسواق السودانية.

إن جميع التجار الوافديين على الأسواق السودانية من إفريقيا جنوب الصحراء تفرض عليهم نفس الضرائب، ويتعاملون في الشراء والبيع بالعملة السائدة هناك وبالمقاييس والمكاييل والأوزان شائعة الإستعمال في هذه الجهة، ويبيعون بضاعتهم بالأسعار المتداولة في الفصل الذي يصلون فيه أو السوق الذي يقصدونه لكون الأسعار تتباين من يوم لآخر ومن فصل لآخر، وتتحكم فيها القاعدة الإقتصادية العرض والطلب، والقافلة المغاربية منذ بداية الطريق وهي تصرف على الرحلة ومن ضمن هذه المصاريف حق حراس القافلة من قطاع الطرق، وضريبة العبور للطوارق وحقوق زعماء القبائل إلى أن تصل إلى السودان ومن بين هذه الأعباء نذكر:

_ أولا: الرسوم والضرائب.

_ يدفع تجار القوافل العديد من الضرائب على بضاعتهم حتى يصلون بها إلى السودان، وقد تصل هذه الضرائب في مجملها إلى خمسين بالمائة من قيمة البضاعة[1].

_ وقد فرضت غانة رسوما تقدر بدينار ذهب على كل حمل دابة دخلت أراضيها ودينارين على كل حمل خرج من أراضيها[2].

_ كما تدفع ضريبة المرور إلى العربان في الصحراء، مقابل دلهم على المسالك الصحراوية آبار المياه وعلى عصابة الطرق التي تعترض سبيل القوافل وتجردها من كل ما خف وزنه وغلا ثمنه، وكانت تدفع إلى حكام حاضرة غات حق المرور ضريبة تقدر بخمسة فرنكات ونصف ذهابا على كل حمولة وتسعة فرنكات على كل حمولة أثناء العودة، وما يلاحظ أن جل المدن

[1] هويكنز(اج): المرجع السابق، ص161.

[2] عبد القوي عثمان: المرجع السابق، ص91.

والمماليك السودانية التي تعبرها القوافل المغاربية تدفع ضرائب الدخول، وضرائب الخروج من وإلى أسواقها مثل غانة ـ تيمبكتو ـ وأغاديس...إلخ[1].

_ ثانيا: المقاييس والأوزان والمكاييل .

أ_ المقاييس:

_ الفتر: هو وحدة من وحدات القياس الصغيرة[2] وطولها البعد ما بين السبابة والإبهام عند فتح اليد 17 سم[3].

_ الشبر: هو قياس يساوى المسافة ما بين الخنصر والإبهام لليد اليمن عند الرجل[4]، ويساوي ما بين 21.5 سنتيما إلى 22 سنتيما[5].

_ القدم: وهي وحدة لقياس الأرض وتحسب قدما بعد أخرى، وتستعمل بكثرة لمعرفة وقت الزوال[6].

_ الذراع: وهي الإمتداد ما بين نهاية المرفق ونهاية الأصبع الوسطى للرجل[7]، وتساوي في المتوسط 50 سنتيما وهناك بعض الأذرع قد تصل إلى 55 سنتيما[8].

---

[1] أحمد ذكار: المرجع السابق، ص106.

[2] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص337.

[3] خير الدين شتره: المبادلات التجارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي والسودان الغربي، في مجلة كان التاريخية، ع33، سبتمبر 2016، ص45.

[4] الحسن الوزان: المرجع السابق، ج2، ص19.

[5] إبراهيم حامد لمين: التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الاجتماعي والثقافي، المرجع السابق، ص106.

[6] محمد صالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ج1، ص164.

[7] بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص319.

[8] مريم محمد عبد الله جبوده: المرجع السابق، ص226.

ـ **الخطوة:** وهي وحدة قياس طول وتعادل واحد متر وتقاس بخطوة الرجل وهي البعد ما بين الرجل اليمنى واليسرى[1]، عندما يخطو الرجل خطوة مع الفتح بين رجليه قليلا[2].

ـ **القامة:** وحدة قياس طول تقاس بقامة الرجل واقفا ومعتدلا[3]، ومعدل الطول 1.70 مترا[4].

ـ **الميل:** وحدة قياس خاصة يستعمل في قياس المسافات الطويلة ويختلف قياسه في البحر عنه في البر، فالميل البحري يساوي 3192.776 ذراعا[5] أي حوالى 1600متر، في حين الميل الميل البري حدده العرب قديما بمنتهى البصر[6] من الأرض أي ما بين 3800 إلى 400 ذراع في حين حددته بعض المراجع المعاصرة بحوالي 1920 مترا[7].

ـ **الفرسخ:** وحدة قياس المسافات حدد طوله بحوالي ثلاثة أميال، أي ستة كيلومترات[8].

ـ **البريد:** وحدة قياس مسافات طويلة ويحدد طوله بسرعة حصان لمدة ساعة من الزمن[9] دون انقطاع وقدر بمسافة 12 ميلا أو4 فراسخ، أي 24 كيلومترا[10].

ـ **الحبة:** وحدة لقياس الماء عبارة عن ثقب في لوحة من النحاس تساوي حجم الإبهام[11] طولها تسعة ملمتر يمر بها في القيقة ثلاثة لترات من الماء[12].

---

[1] أحمد ذكار: المرجع السابق، ص106.

[2] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص338.

[3] إبراهيم حامد لمين: التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الاجتماعي والثقافي، المرجع السابق، ص106.

[4] محمد صالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ج1، ص163.

[5] بوداوية مبخوت: المرجع السابق، ص319.

[6] أحمد ذكار: المرجع السابق، ص106.

[7] محمد صالح حوتية: توات الأزواد، المرجع السابق، ج1، ص163.

[8] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص338.

[9] خير الدين شتره: المبادلات التجارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي والسودان الغربي، المرجع السابق، ص45. ص45.

[10] إبراهيم حامد لمين: التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الإجتماعي والثقافي، المرجع السابق، ص106.

[11] محمد صالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ج1، ص164.

[12] خير الدين شتره: المبادلات التجارية بين إقليم توات والحواضر الإسلامية والسودان الغربي، المرجع السابق، ص 45.

ـ البيصة: وحدة لقياس القماش تساوي ثلاثين ذراعا من الكتان خمسة عشر متر[1].

ب ـ الأوزان:

ـ المثقال: وحدة وزن خاصة بالمعادن الثمينة ويساوي وزنه 72 حبة من حبات القمح المتوسط[2]، وحدد وزنه 4.25 غراما من الذهب الخالص[3].

ـ الدرهم: وهو وحدة وزن ويساوي سبعة أعشار المثقال، أي 2.97 غرام[4].

ـ الدينار: عملة ويستعمل وحدة وزن ويساوي أربعين درهما، أي حوالي 11.88 غراما[5].

ـ الوقية: وحدة من والوحدات الصغيرة للوزن تعادل 27.5 غراما[6].

ـ الرطل: وحدة وزن تساوي 500 غرام[7].

كما توجد أوزان سودانية محلية كانت سائدة في المعاملات التجارية وهي:

ـ الصود: ويساوي سدس المثقال .

ـ العروبو: ويساوي ربع مثقال عادي مدموغ[8].

---

[1] إبراهيم حامد لمين: التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الإجتماعي والثقافي، المرجع السابق، ص106.

[2] أحمد ذكار: المرجع السابق، ص107.

[3] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص337.

[4] أحمد ذكار: المرجع السابق،107.

[5] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص337.

[6] محمد صالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ج1، ص165.

[7] خير الدين شتره: المرجع السابق، ص45.

[8] أحمد ذكار: المرجع السابق، ص107.

_ الثلث: وتساوي ثلث مثقال عادي مدموغ .

_ مثقال دياري: ويساوي نصف مثقال[1].

ج _ المكاييل:

_ المد: المقدر بحفنة باليدين المتوسطتين يستعمله التجار والعامة عند كيل المواد الجافة[2]، كالتمر، والحليب ويكثر استعماله عند إخراج الزكاة صبيحة عيد الفطر، ويختلف من منطقة إلى أخرى وهو عند الجمهور حوالي خمسمائة وعشر غرامات[3].

_ الصاع: ويقدر بأربعة أضعاف المد، أي أربع حفنات باليدين المتوسطتين[4].

_ القنطار: ويقدر بحوالي عشرين إلى خمسة وعشرين صاعا أي مائة كيلوغرام[5].

_ المزود: وهو كيس يصنع من جلد الغنم أو البقر يعادل خمسين أو ثمانين كيلوغرام حسب المادة أي ما يستطيع أن يحمله الرجل أو العبد على ظهره[6].

_ الحمل: وهو ما يستطيع أن يحمله الجمل ويتكون من كيسين يعرف محليا باسم القرايز أو الغرارة*، تحمل كل واحدة ثلاثين صاعا بمجموع ستين صاعا أي ما يعادل قنطارين ونصف وهذا هو حمل الجمل[7].

---

[1] محمد صالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ج1، ص165.

[2] محمد عمارة: المرجع السابق، ص522.

[3] إبراهيم حامد لمين: التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الإجتماعي والثقافي، المرجع السابق، ص104.

[4] لطيفة بشاري: التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية من القرن7ـ10هـ/13ـ16م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف موسى لقبال، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1986ـ1987م، ص236.

[5] محمد صالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ج1، ص161.

[6] نفسه، ص161. ايضا: أحمد ذكار: المرجع السابق، ص108.

[7] محمد صالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ج1، ص162.

_ المودي: ويساوي ما يحمله الرجل أو العبد من الحبوب أو غيرها في كيس من الجلد[1].

_ ثالثا: المعاملات التجارية.

_ المقايضة:

كانت المقايضة الأسلوب الأكثر شيوعا في المعاملات التجارية[2]، وهي عبارة عن مبادلة سلعة بسلعة أخرى، وهي عملة مركبة(بيع وشراء في ذات الوقت) وغالبا ما تتم بين التجار في الأسواق البعيدة، وكانت مستخدمة في بلاد المغرب وفي جنوب الصحراء بصفة خاصة[3]، تعتمد على الإتفاق بين الطرفين فيما يعرضنه من سلع[4]، فالتاجر السوداني يعرض الذهب كسلعة رئيسية ويعرض التاجر الوافد الملح وكل واحد يضع بضاعته ويختفي[5]، ولا يتقابل التجار، حيث يخش سكان السودان من أن يتعرف هؤلاء الغرباء على مكان الذهب ونسمى هذا النوع من التجارة الصامة[6].

_ ونتيجة لكثرة الذهب في تومبكتو، أُستخدم في المعاملات التجارية ليس لضرب العملة وإنما كان أهلها يقايضون التبر بالملح مع تجار القوافل من الشمال لم تقتصر المبادلة على هاتين المادتين فقط بدل أيضا الملح بالبذور[7].

---

*الغرارة: هي أكياس تصنع من الوبر، والصوف أو من ليف النخيل مختلفة الأحجام، وقرارتين هي حمل جمل حوالي قنطار ونصف. ينظر: إبراهيم حامد لمين: المرجع اليابق، ص105.

[1] بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص319.

[2] حمد محمد الجهيمي: العلاقات التجارية بين مملكة غانا وبلاد المغرب فيما بين القرنين3_5هـ/9_11م، المرجع السابق، ص15.

[3] مريم محمد عبد الله جبودة: المرجع السابق، ص217.

[4] الحسن الوزان: المرجع السابق، ج2، ص167.

[5] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص217.

[6] حمد محمد الجهيمي: الحياة الإقتصادية في سجلماسة من نشأتها إلى إكتمال بنائها(140-297هـ/758-909م)، مجلة العلوم والدراسات الانسانية، ع7، جامعة بنغازي، أكتوبر2015، ص9.

[7] الحاج بنيدر: المرجع السابق، ص72.

_ البيع بالودع:

وهي أصداف صغيرة كان يتم التعامل بها بما في أرض السودان الغربي، وكان التاجر يُحضرونه بكميات كبيرة من الأندلس والمغرب الأقصى[1]، وكان يصل عن طريق التجار العرب من سواحل المحيط الهندي، وكان الودع يستعمل في المبايعات الصغيرة وتختلف قيمته من وقت لآخر وتعادل تقريبا 0.35 فرنكا[2].

لقد أكدَ كعت أن المثقال من الذهب في تنبكتو كان يصرف بثلاثة آلاف ودعة[3]، ولقد كان كان بيع العبيد وشراؤهم في أسواق سنغاي يتم بالودع[4].

_ البيع بالملح:

استعمل الملح النادر في بلاد السودان عملة تجارية في مرحلة من مراحل تاريخه حيث كان العبد يباع بقطعة ملح حجم رجله، ثم ارتفاع سعره إلى حمل بعير من الملح[5].

_ المنسوجات القطنية:

استعملت المنسوجات القطنية في المعاملات التجارية في أول الأمر عملة حيث يتم الشراء بها، وذلك بتقديم قطع معينة منها أي شبر أو ذرع أو ذراعين إلى صاحب الدكان مقابل بضاعة[6]، ولقد كان هناك نسيج آخر يتعامل به في بلاد الكانم يطلق عليه اسم (دندي)

---

[1] هوينكز(اج): المرجع السابق، ص70.

[2] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص340.

[3] محمود كعت: المرجع السابق، ص101.

[4] السعدي: المرجع السابق، 158.

[5] البكري: المرجع السابق، ص182.

[6] السعدي: المرجع السابق، ص158.

وهو منسوج محلي، طول كل ثوب عشرة أذرع يشترون به ربع ذراع، لأن قيمته كانت جد غالية[1].

_ البيع بالعملة النقدية:

لا تعرف تاريخا محددا في البداية استعملت العملة النقدية في السودان الغربي، ولكنها ذكرت في المصادر أنها كانت متداولة في الأسواق بطريقة غير متجانسة حيث إننا نجد جميع عملات محلية بعضها بدائي وبعضها متطور، ومن ضمن العملات الشائعة الإستعمال نذكر[2]:

_ الصلع: عملة محلية ذهبية سودانية كانت شائعة الإستعمال في منطقة تادمكة تقدر قيمتها بدينارين[3].

_ النحاس: أُستعمل النحاس عملة في منطقة تاكدة وتتكون هذه العملة من قضبان نحاسية طول القضيب الواحد شبر، وكل حزمة من أربعمائة قضيب تساوي مثقال من الذهب، وشائعة الإستعمال في تاكدة[4].

_ عملة سنغاي: سادت في سنغاي عملة لا نعرف لها اسم محددا ولكنها عملة ذهبية مختومة باسم سنغاي وتقدر قيمتها بدينارين[5].

_ الصكوك : إلى جانب العملة المعدنية عرفت بلاد السودان استعمال الصكوك في المعاملات التجارية، فقد ذكر ابن حوقل أنه رأى في أودغست صكا كتب على يد أحد التجار المغاربة[6].

_ الدينار: أُستعمل الدينار في بلاد السودان ويساوي أربعين درهما.

---

[1] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق. ص340.

[2] ينظر للملحق: رقم3، ص174.

[3] البكري: المرجع السابق، ص182.

[4] مسعودي مزهودي: الإباضية في المغرب الأوسط، (د.ط)، منشورات جمعية التراث، غرداية، 1996م، ص189.

[5] ابن حوقل: المرجع السابق، ص65.

[6] ابن حوقل: نفسه، ص65.

ـ **الدراهم:** وهي عملة فضية نصفها يسمى القيراط وربعها الخروبة[1].

ـ **الكوري:** عملة دخيلة على بلاد السودان أصلها فارسي وقيمتها زهيدة حيث 1000 كوري يساوي 1.75 فرنك[2].

ـ **الدوخة:** عملة محلية منها ما هو ذهبي ومنها الفضي.

ـ **الدراخمة:** وهي عملة غير سودانية ذهبية ولكنها غير متداولة هناك.

ـ **المثقال:** عملة سودانية ذهبية منتشرة في كل جهاته وعلى الخصوص في تمبكتو قيمته 4.25 غرامات من الذهب الخالص ويساوي في القرن 19 م تسعة عشر فرنكا[3].

ـ **المجيدي:** عملة محلية وتساوي 4.5 فرنك ذهبية منتشرة في المغرب وفي السودان.

ـ **الدورو الفضي:** الشائع الإستعمال في أقطار المغرب.

ـ **البينتو:** عملة ذهبية منتشرة في المغرب والسودان.

ـ **المحبوب:** عملة ذهبية منتشرة في المغرب والسودان أيضا.

ـ **الموزونة:** عملة فضية واسعة الإنتشار في أقطار المغرب والسودان .

ـ **القايمة:** عملة نحاسية منتشرة في الأقطار المغاربية والسودان الغربي[4].

---

[1] مسعودي مزهودي: المرجع السابق، ص190.

[2] يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص54.

[3] إبراهيم حامد لمين: التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الاجتماعي والثقافي، المرجع السابق، ص105.

[4] مبروك لمقدم: الشيخ بن عبد الكريم المغيلي وأثره الاصلاحي بإمارة وممالك إفريقيا الغربية خلال القرن 19/18م، (د.ط)، دار الغرب للنشر والتوزيع، (د.م)،2002، ج1، ص220.

ـ رابعا: أسعار البضائع .

لم تكن أسعار البضائع في السودان الغربي مستقرة فلقد كانت تتغير حسب العرض والطلب والسوق والمدينة، ومن فصل إلى آخر ومن سنة إلى أخرى.

ونذكر بعض أسعار البضائع خلال القرن 19 م في بلاد السودان[1]:

ـ العاج: 50 كيلوغرام ما بين 200 إلى 220 ألف كوري.

ـ ريش النعام: 01 كيلوغرام ما بين 50إلى 60 ألف كوري .

ـ التبر الذهب: 01 مثقال ما بين 07 إلى 08 ألف كوري .

ـ العبد الذكر: 01 عبد ما بين 120 إلى 130 ألف كوري .

ـ العبد الأنثى: 01 عبد ما بين 150 إلى 200 ألف كوري.

ـ قماش مالطي: 22 مترا ما بين 07 إلى 08 ألاف كوري[2].

[1] ينظر للملحق: رقم4، ص148.

[2] أحمد ذكار: المرجع السابق، ص112.

خلاصة الفصل:

_ إن الطرق والمسالك الصحراوية استطاعت أن تربط وتقوي الصلات والروابط بين بلاد المغرب، وبلاد السودان برغم وجود طرق وعرة ، وكذا بعضها لا يوجد بها حتى آبار المياه لتوقف القوافل التجارية، ولكنها استطاعت أن تخلق طرق تجارية تمر من خلالها القوافل من وإلى بلاد المغرب وبلاد السودان، مما نتج عنه وجود مراكز، وأسواق لعرض السلع، والبضائع، ومختلف المنتوجات المختلفة.

_ كما أن المراكز التجارية لعبت دورا كبيرا في إقامة علاقات تجارية استقطبت من خلالها التجار، كما أنها توفر لهم جميع متطلبات الراحة للمكوث فيها من خلال التزود بالمؤونة، والمواد التجارية المختلفة، وعقد الصفقات التجارية الهامة في مختلف أسواقها.

_ إن البضائع الصادرة والمستوردة في بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء مثل الذهب، العبيد، الجلود، التوابل، التمر، الفول السوداني، الملح، المنسوجات...وغيرها من المواد، ولقد كان التعامل في هذه الأسواق يتم بالمقاييس، والأوزان، والمكاييل المستعملة بها خاصة الشبر، والذراع في ميدان قياس القماش، والدرهم، والوقية، والرطل في الأوزان، والمد، والصاع، والقنطار، والمزود، والحمل في ميدان الكيل، أما بنسبة لأسعار البضائع فيحددها السوق عن طريق الوفرة، والندرة، والجودة، والنوع، وعدد القوافل التي تدخل إلى السوق، فإن كان عددها كبيرا وتحمل بضاعة متشابهة فإن الأسعار تنخفض والعكس، أما بالنسبة للعملة فإن التجار يحملون معهم أية عملة حيث إنهم يبيعون بالعملة المتداولة في السوق، ولا ينتقلون بها إلى أسواق أخرى عملته مغايرة بل يشترون بها بضاعة هم بحاجة إليها ومتوفرة في هذا السوق، أما بالنسبة للبضائع السودانية فهي بدورها تخضع للعرض والطلب والجودة والنوع والجنس، فمثلا العبد الشاب القوي سعره أغلى من المسن والطفل، ومن ضمن العملات التي كانت متداولة والتي تختلف من سوق لآخر نذكر، الصلع، الدينار، الدراهم، الدوخة، الدراخمة، المثقال وفي

النصف الثاني من القرن 19م، دخلت عملة الفرنك الفرنسي وأصبحت متداولة إلى جانب العملات المحلية.

الفصل الثالث

الآثار الحضارية للقوافل التجارية واهتمام الإستعمار الأوروبي بها.

المبحث الأول: الآثار الحضارية للقوافل التجارية.

المبحث الثاني: اهتمام الأوروبيين بالصحراء الإفريقية من خلال الرحالة والمستكشفين خلال القرن19م.

المبحث الأول: الآثار الحضارية للقوافل التجارية.

أولا: الآثار الإجتماعية والإقتصادية.

أ_ الإجتماعية:

كانت عادات وتقاليد المجتمع السوداني مرتبطة بتقاليد معقدة وقديمة، لكن مع انتشار الإسلام في أواسط هذا المجتمع، والتأثير المغاربي الذي حمله معهم عن طريق تجارة القوافل أدى إلى ظهور عادات وتقاليد أثرت على حياتهم اليومية، ومنها اللباس والزينة والطعام والأعياد والمناسبات.

1_ العادات والتقاليد:

_ اللباس والهندام:

كان اللباس في المدن السودانية شبيها بلباس سكان الواحات وجنوب المغرب[1]، فأصبحنا نرى اللباس الإسلامي مثلا في مدينة تمبوكتو أمرا عاديا، كما نرى اللباس المزركش[2]، وقد لبس التجار الدراريع والسراويل على خلاف أطوالها وإتساعها مع عمامة كبير يلبسها الرجل والمرأة معا، أما في الفصل البارد فقد أُستعمل البرنس الصوفي الخشن ذو الألوان البنية أو القمحية أو الزرقاء وكان البرنس السوداني يدعى (برموسو)، فكانت الألوان المختلفة منتشرة بكثرة، فاللون الأسود والأزرق مفضلين في المجتمع السوداني، حيث إتخذ كانكان موسى بعد عوته من الحج اللون الأخضر شعارا لدولته، وإنتشر إستعماله في دولة مالي ولكن بقيت الألوان الداكنة أكثر رواجا وإستعمالا، فكان اللباس التقليدي للعلماء والأئمة هو اللون الأبيض مع عمامة زرقاء، إلى

[1] محمد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي نشأته وآثاره، إشراف: نقولا زياده، (د.ط)، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، 1982م، ج1، ص609.

[2] فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص50.

أن أصبح هذا اللون شعارا للدولة فيما بعد، وأصبح كبار القادة وكبار الموظفين يتخذونه في المناسبات الرسمية، إلى أن شاع إستعماله بين مختلف الطبقات.

والطابع العام الذي طبع الملابس والبيوت السكنية في المدن هو النظافة وجمال المنظر ولم يكن الرجل يغادر منزله للصلاة أو السوق إذا كانت ثيابه غير نظيفة وخاصة يوم العيد[1].

وعلى العموم كان سكان المدن السودانية أكثر من أي سكان بلد إسلامي تعلقا بالزينة، وجمال المظهر فقد إستعمل الرجال الخواتم وعلقوا السلاسل والتمائم على أعناقهم، وتطيبوا بالعطور الزينية والعشبية التي كانوا يحرقون أنواعا مستوردة منها كالعود أو محلية كالغير وقلدوا المغاربة في إتخاذ أواني البخور ومواقده، وقوارير الزهر والورد، أما النساء فكن يعمدن إلى وضع الأصباغ على وجوههن ولبس القلائد والأحجار الكريمة والزجاجية والأساور والخلاخل والقراط التي كانت تتدلى من الشعور أو من الأنوف[2].

_ المأكل:

لقد كان تأثير المغاربة على المجتمع السوداني بإدخالهم تقاليد المأكل وطريقة صنع الحلويات المختلفة وإنتشار أنواع المشروبات، حيث أصبح الكسكس المتخذ من القمح والشعير والذرة الأكلة المعتمدة في الموائد بعدما كانوا يتناولون الأرز مع استهلاكهم الكبير للسمك، مع بعض التوابل والزبدة الذي إنتشر في أوساط عامة الشعب، أما الطبقات المترفة في المدن فيأكلون لحوم الغنم والجمال والدجاج والحمام، ولم يدخل الأرز في مطابخها إلا بشكل ثانوي، وقد أدخل المغاربة تقليدا فيما يخص وجبات الطعام اليومية والتي تتمثل في تناول طعام العشاء، وكان أهل المدن قبل ذلك يشربون الشاي في العشاء مع بعض الفطائر، أما في الصباح فكانت بعض العائلات في المدن تتناول الأطعمة الدسمة واللحوم والحساء وهذا التقليد

[1] محمد الغربي: المرجع السابق، ص ص610,609.

[2] نفسه، ص612.

الفاسي لم يعرف في السابق لدى السودانيين، وكان ساكن المدن يتناول ثلاث وجبات في اليوم، فبعد الشروق وحتى الساعة التاسعة صباحا كانت الأسرة تتناول وجبة الفطور التي تحتوي على الحساء أو اللحم المستوي أو الخبز الطري[1] الذي يعتبر من إختصاص النساء، فتعده في البيت بعد طحن الحبوب في الطاحون الحجري وغربلتها، ويكون الخبز على شكل أقراص غير مجوفة يتراوح قطرها بين 15و20سم[2]، والزبدة والعسل وفي الضحى يتناول السوداني الشاي الأخضر المعطر بالنعنع إلى أن تحين الوجبة الرئيسية بعد الظهر، وقبيل الغروب تصعد الأسر إلى أسطح المنازل لتناول الشاي والحلوى، وقد يتناول طعام العشاء هناك، ولم يكن يختلف إلا قليلا عن طعم الغذاء من حيث الدسامة، ويقبلون أثناء الطعام تناول المشروبات المختلفة وفي طليعتها الماء المحفوظ في الخوابي والذي يشرب في أواني خزفية مطلية بالقطران، ومما يلفت النظر التنوع الواضح في أصناف الحلويات التي عرفها المجتمع السوداني ونذكر منها:

_ الكويي: وهو عبارة عن رقاق من عجين القمح بسمك الورقة تنشف بالنار الخفيفة ثم تحشى باللوز واللحم الناعم وتغلق بأوراق أخرى حتى تصبح على هيأة رغيف الخبز وعندها تقلى بالزبدة ويوضع عليها دقيق السكر أو بعض العسل.

_ القطيفة: عجين مقلي بالبيض والعسل والسمسم يؤكل في ليالي رمضان.

_ نمتي: عجين من الذرة ينضج بالنار ويكون شكله مستديرا، ولقد كان الكرم والإحتفاء من المميزات البارزة للمجتمع السوداني[3].

[1] محمد الغربي: المرجع السابق، ص ص613,612.

[2] نفسه، ص504.

[3] نفسه، ص ص615,613.

_ الأعياد والمناسبات:

وقد تعددت المناسبات والأعياد لدى المجتمع السوداني، حيث اِختصت الأعياد الدينية بتكريم لا حدود له، فبعد رؤية الهلال يتسارع الناس عبر الشوارع المضاءة بالفوانيس لشراء لوازم العيد من أطعمة وملابس وهدايا، أما في ليلتي القدر ومولد الرسول ﷺ، وفي هذه المناسبة تلتقي جموع المسلمين في الزوايا والجوامع والأماكن العامة ومراكز الثقافة اِحتفاءً بذكرى مولد النبي ﷺ[1]، ويُخرِج السكان الفوانيس إلى الطرقات فيعلقونها أو يَصحَبُونَها معهم في تجوالهم بالمدينة، وذهابهم لزيارة الأقارب، وكان كبار القوم والأعيان والعلماء يبكرون إلى المصلى لتأدية صلات العيد.

وقد عرف شهر الصيام في المدن السودانية بالأخص بأنه شهر العبادة والصدقات وهذا إمتثالا لقوله تعالى:" يَأَيُهَا الَذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيكُم اُلصِيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَذِينَ مُن قَبلِكُم لَعَلَكُم تَتَقُون"[2]، فيأتي الناس إلى أبواب المساجد قبل الغروب بحبات التمر وقطع الخبز والحساء ويوزعونه على الفقراء، وفي أول ليلة من شهر رمضان يهرع العلماء إلى المشتر ليأموا بالباشا في صلوات التراويح بعد صلات العشاء، ثم يبدأ سرد صحيح البخاري في المشور وبالجامع الأعظم ولا تنتهي القراءة إلا بنهاية الشهر، وكان علماء السودان يجتمعون في بيوتهم لقراءة كتاب الشفا للقاضي عياض، أما الإعتكاف في العَشر الأواخر فكان معروفا بكل المساجد.

وبمجرد ظهور هلال عيد الفطر تعم بذلك البشري بواسطة الطبول والأسواق وتتعالى الزغاريد على النحو الذي أستقبل به هلال أول الشهر، ويخرج الباشا لصلاة العيد في هيأة رسمية، ويحضر بنفسه الحفلات التي تستمر سبعة أيام.

---

[1] محمد جوف بن تفسير باب البرني: أعلام الهدى بغرب إفريقيا، ط1، (د.د.ن)، السنغال، 1999م، ص79.

[2] القرآن: سورة البقرة، الآية رقم 182، ص28.

أما في عيد الأضحى فكانت المدافع تطلق من أبراج قصبة تمبوكتو كما كان يحدث في جميع المدن[1]، وكانت هناك مناسبات دينية أخرى مثل الإحتفالات بأول السنة الهجرية وعاشوراء، وبيوم ختم القرآن في الجامع الكبير وقد أكثر أهل المدن من الصلوات التي لا ترافقها حفلات أو مظاهر ملفتة للنظر ومنها صلوات الإستسقاء والخوف والشكر وصلاة الكسوف[2].

ـ الزواج:

ومن عادات الزواج لدى الأفارقة أنه لم يكن موافق الشريعة الإسلامية، حيث أن الإسلام نظمهم في الزواج ونظام الأسرة إذ جعل الرجل هو المسؤول الأول عن الأسرة لا المرأة كما كان الشأن عند كثير من القبائل الإفريقية، فصار الأبناء ينسبون لآبائهم وليس لأمهاتهم، كما حدد عدد الزوجات في أربع فقط كما جاء في قوله تعالى:" فَأُنكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِنَ النِسَآءِ مَثنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِن خِفتُم أَلاَ تَعدِلُوا فَوَاحِدَةً أَو مَا مَلَكَت أَيمَانُكُم ذَلِكَ أَدنَى أَلاَ تَعُولُوا"[3]، وليس كما كان الحال عندما كان الرجال يختلطون بالنساء إختلاطاً جماعيا، أو كان للرجل ما يشاء من نساء حسب قدرته ومقدرته، وبذلك رفع الإسلام مكانة المرأة وأحاطها بسياج من الإحترام والطهر والعفاف، بعد أن كان الإبن يرث زوجات أبيه بل ويتزوج بهن وكان نظاما عادلا لتوزيع التركة بين أفراد الأسرة جميعاً إذ مات عائلها[4]، حيث يذكر المغيلي في كتابه أسئيلة الأسقيا وأجوبة المغيلي عن أمور الميراث في قوله: "أما القوم الذين من شأنهم لا يتوارثون على الكتاب والسنة إنما يرث منهم الخال وابن الأخت وابن الخال فإن رأوا أن ذلك خللا وجحدوا شرائع ميراث الإسلام فهم كفار وإن لم يجحدوا الميراث وأقروا أنهم عصاة فليؤموا بالتوبة والرجوع إلى فرائض الله في الميراث" وحسب نظام دقيق يعطى لكل ذي حق حقه دون زيادة أو نقصان

[1] محمد الغربي: المرجع السابق، ص ص 620,619.

[2] نفسه، ص621.

[3] القرآن: سورة النساء، الآية رقم 3، ص77.

[4] الموسوعة الإسلامية: تحت عنوان طابع الإسلام والثقافة الإسلامية في شرق إفريقيا، www.islam beacon.com ، 16ماي 2018م، 12:36.

ودون ظلم أو بهتان مما أورث الحب والمودة في قلوب الأبناء وزرعها محل الكراهية والبغضاء[1].

لقد غير الإسلام نظرة الأفارقة في طريقة الزواج وحدد لها ضوابط وقواعد وذلك وفقا للشريعة الإسلامية.

ـ الزنوج:

ورغم قساوة بعض العوامل الطبيعية فقد لعبت الطرق دورا هام في نقل الحضارة إلى قلب القارة الإفريقية وإلى أقسامها الغربية، كما كانت أيضا الطرق التي سلكتها الهجرات المتتابعة من شمال الصحراء إلى جنوبها، حينما دفعت التقلبات السياسية في الشمال شعوبا وقبائل مختلفة للنزوح عبر الصحراء، وبإتساع نطاق التجارة والهجرة والإستيطان فقوي بذلك أثر العرب في حياة الزنوج، كما وضحت المؤثرات العربية التي تمثلت في إعتناق نسبة كبيرة من الشعوب الزنجية للدين الإسلامي، كما تحدثت أقلية لا يستهان بها باللغة العربية، وأصبحت هذه اللغة لغة الثقافة والعلم[2]، فإختلط العرب بأفارقة الزنوج وتشكلت بذلك لغة العرب ولغة زنوج الأفارقة حيث أن هناك حوالي60% كلمات عربية في اللغة السواحلية حتى اليوم[3]، فقد شهد غرب إفريقيا قيام كثير من الدول الزنجية الوثنية والإسلامية، وليس من شك أن كثيرا من العرب والمغاربة والزنوج من فقهاء ومؤرخين ورحالة كتبوا عن هذه الدول قبل أن تبدأ أوروبا في معرفتها بغرب إفريقيا[4]، وأن الإتصال بين العرب والأفارقة في الجنوب من الصحراء الكبرى كان موجوداً بشكل أو بآخر قبل بداية الفترة الإسلامية وذلك يعود للموقع الجغرافي الذي جعل من

[1] محمد بن عبد الكريم المغيلي: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تح: عبد القادر زبادية، (د.ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص60.

[2] جمال زكريا قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، (د.ط)، دار الفكر الإسلامي، (د.م)، 1996م، ص155.

[3] عبد القادر زبادية: دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، المرجع السابق، ص25.

[4] جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص155.

الطرفين الإفريقي والعربي جارين على طرفي الصحراء العرب في شمالها والأفارقة في جنوبها[1]، ومما يلفت النظر أن الصحراء الكبرى لم تكن مانع بأي حال من الأحوال من قيام إرتباط بين المناطق الواقعة شمالاً من أرض المغرب والمناطق الواقعة جنوباً من أراضي غرب السودان، وإنما كانت تجتازها طرقها بإستخدامها قوافل التجارة، حيث قامت في أراضي السودان الغربي جماعات من الزنوج إشتغل بعضهم بالرعي وبعضهم بالزراعة، وكانت محتاجة إلى أشياء كثيرة مما تنتجه أرض المغرب وخصوصاً ملح الطعام الذي كان سلعة عزيزة في الجنوب[2]، ومن الزنوج التي تتكلم اللغة العربية كانت أكثر انتشاراً من غيرها فالتداخل العرقي والثقافي أعطت للسودان صيغة التمازج الإجتماعي بين العناصر السوداء القديمة، والعناصر البيضاء الوافدة وقد أطلق عليه الجغرافيون بلاد الساحل، ففي الأعوام الأخيرة للقرن السادس عشر الميلادي، بدأ آلاف من الفتيان المغاربة يتوافدون على السودان وينشؤون عائلات مختلطة تتمازج فيها دماء العرب والطوارق، والبهل، والفولبية، والسونغاي، وقد إتضح ذلك النتاج بالإختلاط بين الجنسين الأسود والأبيض بالجيل الثالث والرابع على نطاق مكاني واسع[3].

[1] عبد القادر زبادية: دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، المرجع السابق، ص23.

[2] جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص153.

[3] محمد الغربي: المرجع السابق، ص ص589,590.

ب_ إقتصاديا:

_ السياسة الزراعية:

تعتبر الأقاليم السودانية الواقعة على حوض النهر أوفر حظا من باقي الأقاليم الأخرى، فالمجرى المائي الهام والمتمثل في نهر النيجر حيث سمح بالتحكم في مياه النهر وجرها إلى أماكن بعيدة، فبالرغم من وقوعه ضمن الإقليم المداري الجاف والتباين الواضح بين مناطقها الشمالية والجنوبية من حيث المظاهر النباتية، ودرجات حرارة الليل والنهار ونسبة الرطوبة وكمية الأمطار فإن طابع الجفاف على تفاوته وذلك عند الإنتقال من خط عرض إلى آخر يبقى هو المميز لكل تلك الأقاليم.

ومن الوسائل التي إستعملها الفلاح كانت الفؤوس والمحاريث الخشبية فهي عدته في تعامله مع أرضه غير أن فلاح السوداني[1] تعلموا أساليب زراعية جديدة متقنة كسحب المياه للري وإستعمال الأسمدة التي جلبته من توات أما المحراث الذي كان يستعمله فلاحوا ولاته العرب فقد دخل غلى السودان في بداية القرن السادس عشر الميلادي.

وكان المزارع السوداني في صراع مع الآفات والأوبئة ومع تقلبات المناخ وإنحباس المطر، وضعف الفيضان أو عندما تحل أفة من تلك الآفات كان يترك مزرعته، ولكن مع مجيء المغاربة إلى السودان والإستقرار فيه، فلم تكن الحملة المغربية تتكون من جنود فقط، بل إن آلافا من الخبراء ثم بعثهم ليعملوا على تغيير وجه السودان الاقتصادي وتحقيق إستغلال الأراضي وتوسيع الإنتاج، فأخذت المزارع السودانية وخاصة في الغرب شكل البساتين الأندلسية فشهدت بذلك تطورا مهما من ناحية الإنتاج الغذائي، وكان يشرف على تلك البساتين فلاحون من المغرب وقد تجلى ذلك التحول أيضا في نظام الإستغلال الحثيث للأرض وفي التجاوب مع إمكانياتها في العطاء فإستغلت سفوح الجبال وشقت بالمساطب والقنوات وأتقنوا صيانة التربة

[1] محمد الغربي: المرجع السابق، ص471.

وبنوا نظما زراعية ونقلوا من أهل الشمال الإفريقي النظم الإجتماعية والقدرات الفنية، وبتطوعهم لكل هذه التجارب تمكنوا من اختراع ما احتاجوا إليه من أدوات وفنون.

أما عن أساليب الري، فكانوا يعتمدون في بداية الأمر على الري التقليدي، وتجسد هذا في الواحات الصحراوية وعلى ضفاف نهر النيجر والسنغال بالإضافة إلى اعتمادهم على الأمطار إلى جانب المجاري المائية، وهذا في فصل الأمطار إذ يحرصون على الزراعة في المناطق الواقعة على ضفاف الأنهار وهذا ما دفعهم إلى تطوير أساليب الري، فنتج عنه بروز أنماط زراعية طبقا للزراعة التي تعتمد على مياه الأمطار، وهي تنتشر في مناطق السفانا وكذا الزراعة الدائمة بواسطة الفأس، والحفارة وهي تمارس في منطقة الغابات[1]، وبلجوؤهم لحفر الآبار بغية السقي، إذ كان البعض منها من النوع الإرتوازي، وهو عبارة عن حفر الآبار لغاية الوصول لحجر صلب يتم كسره بمعاول، وفؤوس فينبعث منه الماء[2].

وقد إمتازت خصوبة التربة بفضل وفرة المياه إلى إنتاج محاصيل زراعية وكثر انتشارها ولعل أبرزها نجد، الحبوب، الخضروات والفواكه بكل أنواعها[3].

[1] محمد الغربي: المرجع السابق، ص ص 473,472.

[2] عبد القادر زبادية: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص ص70,69.

[3] ابن بطوطة: المرجع السابق، ص235.

_ العملات:

كان التأثير العربي الإسلامي على بلاد السودان على الحياة الإقتصادية وظهر ذلك جليا خاصة في نظام العملات والذي حل محل نظام المقايضة بعد أن تلاشى فنجد أهم العملات المنتشر:

1_ النقود الذهبية:

لقد كانت هذه العملة متداولة حيث إستعملها سكان المدن السودانية، وكانت دنانيرهم تسمى الصلع لأنها من ذهب محض غير مختومة، فكان الدينار يزن مثقالا واحدا مثلما كان سائدا في الوطن العربي والعالم الإسلامي، كما أن عملة أهل أودغست هي من التبر الخالص، بالإضافة إلى أن أهل تمبكتو إستعملوا القطع الذهبية الخالصة عوضا عن العملة المسكوكة، كما كانت العملات المغربية متداولة بكثرة كالعملات المغربية[1]، ومنها الدرهم والبندقي والعشراوي[2]، والمصرية، وهذا يعود لكثرة التبادل التجاري بينهما[3].

2_ النقود الفضية والنحاسية:

كان التعامل بالفضة يتم بنفس الطريقة التي يتم فيها التصارف مع الذهب، أما فيما يخص إِخاذ النحاس كعملة حيث يتم إستخراجه من منطقة تكدا حسب ما أورده ابن بطوطة في رحلته حيث يصنعون منه قضبانا في طول شبر ونصف غليظة ورقيقة، فالغليظة يشترون بها اللحم والحطب[4].

[1] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص342.

[2] سميرة دعاشي: المرجع السابق، ص9.

[3] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص342.

[4] نفسه، ص ص78,77.

كما أن العملات الحديدية متداولة بالمنطقة، وذلك بهدف شراء العسل، والخبز، واللبن...وغيرها، وكانت مدينة جني من أهم المدن التي تتداول القطع الحديدية، وكان وزن القطع رطل أو نصف رطل أو ربعه[1].

3_ المنسوجات القطنية:

عرفت المنسوجات القطنية تعاملا كبيرا بها، لذلك أطلق عليها أهل التكرور الشكيات[2]، كما أن المنسوجات أو الأثواب تعتبر كنقد لشراء بعض الحاجيات فمثلا لشراء اللحم، أو اللبن، والسمن كان يشترى بالأثواب.

4_ النقود المعدنية الأوروبية:

تم إدخال النظام النقدي الإستعماري في منتصف القرن التاسع عشر، وقد كانت حكومات المستعمرات تشجع على استخدام النقود الحديثة وذلك من خلال إصرارها على تحصيل الضرائب نقدا، مع حرص الشركات الأوروبية على تطوير التجارة النقدية نظرا للأرباح التي كانت تحصل عليها[3]، وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، كانت إفريقيا الغربية قد تزايد اتجاهها لإستخدام النقود في التجارة[4]، فكان أول بنك ناجح في إفريقيا الغربية هو بنك السنغال الذي أنشئ في سانت لويس سنة 1854م.

---

[1] الحسن الوزان: المرجع السابق، ص163.

[2] سعد زغلول عبد الحميد: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار(وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب) لكاتب مراكشي من كتاب القرن السادس هجري 12م، (د.ط)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د.س)، ص217.

[3] هويكنز(اج): المرجع السابق، ص412.

[4] محمد صالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ج2، ص163.

كما قام الفرنسيون بتغيير المكاييل والمواكيل التي وجدوها في الجزائر وعوضوها بمكاييلهم وموازينهم مع فرضها على الجزائريين بدعوى مفادها أن الأحجام والأوزان تختلف من مكان إلى آخر، وكان الفرنك الفرنسي منتشرا بكثرة في مستعمراتها[1].

ثانيا: الآثار العلمية والثقافية.

1_ طبقة العلماء:

لقد رافقت الحركة التجارية حركة علمية نشطة، وقد تمكن العديد من العلماء في إرساء حركة ثقافية وعلمية جمعت بين علوم المشرق والمغرب، وامتزجت بالثقافات والأعراف الإفريقية وبحكم الجوار الجغرافي بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء أدى إلى الإزدهار العلمي ونشر الإسلام واللغة العربية وذلك بواسطة الرحلات العلمية وتبادل الوفود[2].

ويعتبر طلب العلم ونشره من أقدم الأسباب التي دفعت الناس للقيام بنوع من الرحلات، فالإسلام دائما كان مشجعا لشد الرحال في طلب العلم قال تعالى" فَانتَشِرُوا فيِ اِلاَرضِ وَابتَغُوا مِن فَضلِ الله..."[3]، ولهذا كان للعلماء دور في نشر الدين الإسلامي وبفضل جهود علماء المغرب الإسلامي انتشرت المدارس والمعاهد الإسلامية، وخاصة التواتيين[4]، فعرفت هجرة العلماء إلى حواضر إفريقيا الغربية حركية أنشط خلال القرن الثامن عشر الميلادي[5]، وإستقطبت مدينة تمبكتو علماء توات فاستقر الكثير منهم فيها للدعوة والتدريس[6].

---

[1] سميرة دعاشي: المرجع السابق، ص9.

[2] عبد الله عباس: المرجع السابق، ص76.

[3] القرآن: سورة الجمعة، الآية رقم10، ص553.

[4] آمحمد مولاي: التجارة والرحلة ودورهما في التواصل العلمي بين توات وبلاد الساحل الإفريقي، في مجلة الدراسات التاريخية والإجتماعية، ع5، (د.س)، ص49.

[5] مبارك جعفري: المرجع السابق، ص37.

[6] عبد الرحمان السعدي: المرجع السابق، ص236.

2_ مؤلفات بعض العلماء (آثارهم):

لقد كان لبعض العلماء العديد من المؤلفات التي انتشرت في أسقاع بلاد السودان، حيث تأثر العلماء بعلماء وعلوم التواتيين وانكبوا على كثير من مؤلفاتهم ينسخونها ويدرسونها وحتى شارحين لها أحيانا، كما كانت توات دوما حاضرة في مؤلفاتهم قبل وأثناء وبعد القرن الثاني عشر الهجري، وإقترن دائما وصفها ببلاد العلم والأمان والطمأنينة فقلما نجد كتابا أو مؤلفا في الأغراض المختلفة لا يأتي على ذكرها ومن الأمثلة على ذلك كتاب" المعين المبارك على منظومة ابن أب المزمري للمقدمة الأجرمية" للشيخ المختار بن الطالب عبد الله الشنقيطي الولاتي وهو شيح على مؤلف بن أب المذكور[1]، ومن بين العلماء الأفارقة الذين تأثروا كثيرا بعلماء توات خلال القرن 12هـ/18م أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي صاحب المؤلف المشهور" فتح الشكور في معرفة علمان التكرور" والذي أخذ ورد الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني، وكان تلميذه عن طريق الشيخ مولاي زيدان التواتي الذي كان الوسيط بين الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني وإتِبَاعه في إفريقيا، أما الشيخ الطالب الأمين بن الطالب الحرشي فقد أخذ حكم ابن عطا الله في التصوف " الحكم العطائية" على يد الشيخ أحمد بن عمر التواتي وأخذ عنه الورد والطريقة في التصوف كما أخذ الشيخ الطالب محمد بن الطالب عمر الخطاط بن محمد البرتلي الولاتي الورد الغازي الناصري ومبادئ التصوف على يد الشيخ أحمد بن محمد عمر بن علي بن عبد الله التسابيتي التواتي، وكذلك الشيخ حمى الله مؤسس الطريقة الصوفية الحمالية أخذ تعاليم الطريقة على يد الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الله الشهير بالشريف مولاي الأخضر الذي كان يدرس التيجانية في السودان الغربي، أما من حيث التأليف فقد حازت توات على اهتمام الأفارقة وراحوا يكتبون حولها مبدين إعجابهم وإحترامهم لها، ومن

[1] مبارك جعفري: المرجع السابق، ص94.

الأمثلة على ذلك، ما كتبه الحاج البشير بن الحاج بي بكر بن الطالب محمد بن الطالب عمر البرتلي الذي عرف بحبه للنبي ﷺ وقام بالحج عام 1790م[1].

تنقل الكثير من العلماء التواتيين خلال القرن الثاني عشر الهجري إلى إفريقيا لطلب العلم أو بغيت التدريس هناك، وقلما نجد عالما في توات لم يقم بزيارة لبلاد السودان، خاصة للمراكز الحضارية التي تعدت شهرتها الآفاق كتمبكتو، أروان، شنقيط، ولاته...وغيرها، لما اشتهرت به من رخاء إقتصادي ومكانة علمية، وكان لهذا التنقل دور كبير في تطور وازدهار الحياة العلمية بتوات، كما ساهم في إمداد هذه المناطق بمختلف العلوم والمنتجات الفكرية للتواتيين، ومن الأمثلة على ذلك الشيخين عمر بن محمد بن المصطفى بن أحمد الرقادي الكنتي، الذي كان كثير التردد على بلاد التكرور لوجود عشيرته هناك وأبي زيد عبد الرحمان بن عمر التنيلاني الذي زارها مرتين، كانت الأولى مع الشيخ عمر بن محمد الكنتي وكان ذلك في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي[2]، حيث دامت شهراً كاملاً وقد وصف لنا أجزاء منها في فهرسته، حيث يذكر أنه زار خلالها عدة مناطق مثل تاوديني التي أقام بها مدة عند عشيرة الكنتي، ثم تنقل بعدها لمدينة أروان أين بقي هناك حيث التقى بالشيخ أبو العباس أحمد بن صالح السوفي التكروري، الذي قال عنه أنه كان عالما ملازما للتدريس في أغلب أوقاته ويرجع ذلك لكثرة طلبته، لكن رغم ذلك فرح به وخصص له بعضا من وقته، وقرأ عليه الخزرجية في علم العروض، ويصف لنا التنيلاني طريقة في التدريس حيث يقول أنه كان يستمر في تعليم الطلبة طول النهار لا يعود لمنزله إلا بعد العشاء بساعات، وكان يدرس بأربع لغات وهي: العربية، الدراجة، لغة الطوارق، واللغة التكرورية، كما كان حليما صبورا على جفوة أهل البادية وقلة أدبهم معه لأنهم أكثر طلبته، فمنهم من يجلس متكأ على شقه والآخر مادًا لرجليه والبعض الآخر متكأ على جدار، لكن رغم ذلك كان يداعبهم ويضحك معهم، وكان يأتيه عامة الناس

[1] مبارك جعفري: المرجع السابق، ص94.

[2] نفسه، ص92.

فيقطع التدريس ويخرج إليهم ويقضي حوائجهم، ومن مدينة أروان توجه إلى قرية المبروك لكنه ما لبث فيها إلاً قليلا ليعود بعدها لمدينة أروان ثانية.

ومن التواتيين في ولاته الطالب سيدي أحمد التواتي بن محمد بن عمر من بني على بن عبد الله، يقول عنه البرتلي أنه كان أحد الأولياء العارفين مداوماً على الأوراد مشتغلاً بالتصوف له خزانة مليئة بكتبه وغيرها.

ونجد أيضا الشيخ محمد علي بن أحمد بن علي بن أحمد الرقادي والذي قال عنه البرتلي أنه كان من الصالحين وأهل العلم صاحب نفع وبركة، كثير التنقل بين زاوية أجداده في توات وبلاد السودان ولقد تأثر به عدد كبير من التكروريين[1].

كما أن العلماء الذين رافقوا محمد بن عبد الكريم المغيلي أو اتبعوا أثره إلى بلاد الهوسا خلال العقد الأخير من القرن الخامس عشر الميلادي الفضل في نشأة الحركة العلمية في تلك البلاد[2]، فمع بداية القرن السادس عشر الميلادي بدأت دوائر صغيرة للعلماء المحليين في النمو والإزدهار حتى أضحت مراكز جذب للمهاجرين من الأقاليم الإسلامية الأخرى[3].

[1] مبارك جعفري: المرجع السابق، ص93.

[2] علي بوترعة: الوجود الحضاري العربي الإسلامي في غرب إفريقيا، في دورية كان التاريخية، ع19، مارس 2013م، ص68.

[3] عبد الرحمان بوسليماني: التراث العربي الإسلامي في شرق إفريقيا وغربها(دراسة تاريخية)، في دورية كان التاريخية، ع17، سبتمبر 2012م، ص52.

3_ نموذج لبعض العلماء(تلمسان وتوات):

أ_ تلمسان:

_ محمد بن عبد الكريم المغيلي*:

من أهم إنجزاته الإصلاحية في السودان الغربي أنه قام ببناء مسجد أقدز إحدى مدن النيجر والمعروف باسم مسجد الشيخ المغيلي إلى غاية يومنا هذا كما كان له دور في نشر الطريقة القادرية في تلك الأصقاع وتولى تلميذه هذه المهمة من بعده كما نشر العلم ومارس التدريس والوعظ في مساجدها وحارب الخرافات[1]، فبإمتهانه التدريس والوعظ والإمامة، والإرشاد زاد تعلقه بالمجتمع وتعلق السكان بأفكاره وآرائه[2]، وبتنقله عبر المناطق خاصة تنقله بين توات وأقاليم السودان الغربي وبذله جهوداً إصلاحية جبارة، في تصحيح الأفكار والعقائد وتهذيب المجتمع بتنظيم الحكم وشؤون الإمارة، وكان أول العلماء الذين دخلوا توات وأثرو فيها تأثيراً كبيراً، وقد شملة جهودا في مجالات عديدة[3]، لقد لعبت التجارة دورا بارزا في ربط الصلات والعلاقات وذلك بهجرة العلماء إليها وإستقرارهم بها ونشر الثقافة العربية الإسلامية[4].

*المغيلي: هو محمد بن عبد الكريم المغيلي، ينسب إلى قبيلة مغيلة التي تقطن نواحي تلمسان، ولا يعرف تاريخ ولادته بالضبط، غير أن وفاته كانت في بداية القرن 10م، وقد كان من المثقفين وأولي الفكر في عصره وقد إنتقل بعد إتمام دراسته بالشمال، إلى الصحراء، فسكن توات وبها توفي. ينظر: محمد بن عبد الكريم المغيلي: المرجع السابق، ص8.

[1] نبيلة حشفة ويمينة بربيش: جهود المغاربة في نشر الثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء من القرن10-13هـ/16-19م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إشراف عبد الكامل عطية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2016-2017م، ص36.

[2] أ- مبروك مقدم: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة والخامس للميلاد، (د.ط)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران،(د.م)، ص32.

[3] خير الدين شتره: الشيخ محمد بن عبد \الكريم المغيلي التلمساني، (د.ط)، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011م، ج2، ص ص410,409.

[4] أ- مبروك مقدم: المرجع السابق، ص33.

وإن الجهود التي أضافها الإمام المغيلي من الناحية الثقافية والسياسية والإدارية والقانونية حيث تجلت في إثراء المكتبة بمجموعة من المخطوطات القيمة والتي تتسم بالتجارب الميدانية، ونقل أفكاره وذلك عن طريق تلاميذه والمتمدريسين عليهم، وهكذا وصل مده وفكره وآراءه إلى مختلف أرجاء الحواضر الإفريقية[1].

أدى ظهور العلماء، وانتشارهم عبر الصحراء في تقوية الصلة بين الحواضر الإفريقية وبلاد المغرب، بنشر العلم والدين الإسلامي وذلك من خلال حركة التأليف ونشر المخطوطات.

ب_ توات:

_ الشيخ سيدي محمد بن الشيخ المختار:

تربي الشيخ في كنف والده وتلقي تربية عربية إسلامية وكغيره من أهل توات درس العلوم الشرعية ومن أشهر تلاميذه الشيخ سيدي الكبير مؤسس الطريقة السيدية بموريتانيا هذا وعرف بعلاقاته المسالمة مع مختلف قبائل الصحراء مما جعله محل إحترام وتقدير من الجميع وقد مكنه ذلك من إنقاذ مدينة تمبكتو من حملة الفلان سنة 1826م، وساهم في إبعاد الخطر عن الماجوز الذي حماه من محاولة إغتياله من طرف الطوارق وله عدة إسهامات في الحياة العلمية نذكر منها: شرحه لتحفة المودود، وترجمان المقال، ورافع الإشكال لشرح الأفعال وفي الدراسات الشرعية وضع مصنف علم اليقين وسنين المتقين وفتوى في الطلاق وإجازة الأوراد القادرية وجوابا عن ثلاث مسائل في الورد القادري كما ترك العديد من الرسائل والقصائد الشخصية التي راسل أعيان الفلان وبعض أفراد قبيلته هذا وقد إشتهر خاصة بجمعه مخطوط الطرائق والتلائد في كرامات الشيخين الوالد والوالدة ووضع مقدمة للمخطوط وهو مجلد في سبعة

[1] أ ـ مبروك مقدم: المرجع السابق: ص34.

أبواب ولم يبق منه سوى القسم الأول ينتهي عند الباب الخامس وتكمن الأهمية خاصة في محتواه العلمي فهو مصدر مهم بالنسبة لهاتين المنطقتين[1].

4_ المرافق التعليمية:

أ_ المساجد: (مساجد تمبكتو نموذجا).

لقد كان لمدينة تمبكتو دورا كبيرا في إثراء الحياة العلمية والفكرية بالسودان الغربي، وذلك بفضل انتشار المساجد فمدينة تمبكتو تضم ثلاث مساجد هامة وهي: مسجد الجامع الكبير، مسجد سنكري ومسجد سيدي يحي، وقد أصبحت هذه المساجد بمثابة جامعات ومعاهد تعليمية كبري ومراكز ثقافية وتربوية حققت أهدافها التعليمية والتربوية وتخرج منها القضاة والعلماء والأدباء.

1_ الجامع الكبير:

ويعرف باسم جنكري بير وهو من أشهر المساجد في السودان الغربي أسسه الملك منسى موسى، وقد أعتبرت هندسته من أرض البناء والزخرفة، وقد بني المسجد على الطراز المغربي، وكان نوع التعليم الذي يعطى فيه من النوع العالي حيث تدرس فيه المواد على شكل اختصاص وتناول بتفصيلات واسعة مستمدة من أمهات الكتب الإسلامية التي عرفت لدى المسلمين[2]، وقد أصبح الجامع الكبير جامعة إسلامية وسرعان ما تحول إلى منارة علمية في المنطقة، ويتوافد إليها علماء ولاته خاصة والكثير من العلماء الذين ساهموا بشكل كبير في إثراء الحياة العلمية

[1] أ_مبروك مقدم: المرجع السابق، ص ص292,291.

[2] ربيعة سبوعي: المراكز الثقافية في السودان الغربي ودورها في الحياة العلمية والفكرية خلال القرن 10هـ/16م(حاضرة تمبكتو أنموذجا)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إشراف رشيد قسيبة، قسم التاريخ، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2016/2015م، ص ص68,69.

به، وجعلوه رمزا من رموز الثقافة الإسلامية بمناطق إفريقيا جنوب الصحراء، ونذكر منهم: الإمام أبو القاسم التواتي، والفقيه القاضي الإمام كاتب موسى والإمام سيد علي بن عبد الله سر بن الإمام سيد على الجزولي، وغيرهم من الأئمة الذين تم توليتهم الإمامة في هذا المسجد[1].

2_ مسجد سنكري:

وهو أشهر مساجد مدينة تمبكتو فاقت شهرته باقي مساجد شمال إفريقيا، وقد ذاع صيته لما بلغته من مستوى علمي رفيع، وجعلت من مدينة تمبكتو عاصمة من عواصم الدين والعلم والآداب في بلاد السودان واعتمدت هذه الجامعة نفس أساليب ومناهج التدريس التي كانت معتمدة في الحواضر شمال إفريقيا، ولعل ما يميز سنكري أنها شابهت قريناتها من مراكز الحضارة في الشمال الإفريقي والشرق العربي في مواكبتها للعلم وانتقال العلماء وتوافد الطلاب وكانت الدراسة في هذا المسجد تتركز أساسا على علوم القرآن، والحديث وعلومه والسير والتاريخ والمنطق، وكان علماء الجامعة يدرسون الصحيحين والمدونة والرسالة ومختصر الخليل، وقد تعاقب على الإمامة والتعليم علماء كثر وخاصة من آل أقيت[2]، ونذكر من بين العلماء الفقهاء الذين شغلوا منصب الإمامة وزاولوا مهنة التعليم بالمسجد وكانت لهم مساهمات في اثراء الحياة العلمية بالمدينة: القاضي عمر بن محمود آقيت أخو القاضي العقب، والشيخ محمد بن أبي بكر الونكري التمبكتي.

[1] ربيعة سبوعي: المرجع السابق، ص70.

[2] نفسه، ص ص72,71.

3_ مسجد سيدي يحي التادلسي:

وهو من أهم مساجد مدينة تمبكتو، ويعتبر أصغر حجما من المسجدين السابقين وكان المسجد بمثابة مدرسة علمية تهافت عليها أهل تمبكتو وذلك لإرتفاع درجة العلم به، وأسند إمامة هذا المسجد إلى الشيخ سيدي يحي سنة1462م، حيث كان المسجد يدرس كل أنواع العلوم والمعارف التي سبق ذكرها والتي تدرس في المسجدين الجامع الكبير ومسجد سنكري[1].

تعتبر هذه المساجد الثلاثة الشهيرة التي أقيمت وأصبحت منارات علمية وثقافية ودينية من أهم المساجد التي تلقي العلوم والمعارف فكثرتها، وشهرتها ما هو إلا دليل على أهميتها العلمية والثقافية.

ب_ المكتبات:

انتشرت المكتبات التي ارتادها العلماء والأثرياء، وكانت مفتوحة لإطلاع الطلاب والمراقبين في العلم، حيث اشتهرت تمبكتو بعدد كبير من المكتبات المملوكة لعلماءها، وعرف عن هؤلاء أنهم كانوا لا يبخلون بكتبهم على الراغبين في الإستعارة مهما كانت الكتب قيمة.

كانت هذه المكتبات العامة تحتوي على شتى أنواع الكتب وجميع فنون العلم وتجمع هذه الكتب من جميع أماكن العالم الإسلامي، فكان الملك أزكي مثلا وهو ملك سنغاي الذي يقوم بنسخ المخطوطات والكتب المطبوعة ثم يقوم بتوزيعها على العلماء والطلبة مجانا، كما وجدت مكتبات خاصة بالعائلات مثل: مكتب حيدرة للمخطوطات والوثائق والتي تحتوي حوالي 4000 مخطوطة التي أنشأت في القرن 10هـ/16م، وكانت تنتقل في البوادي والقرى إلى أن وصلت في الأخير إلى مدينة تمبكتو، بالإضافة إلى مكتبة الكوتي الأندلسية والتي يعود تاريخها إلى

[1] ربيعة سبوعي: المرجع السابق، ص74.

سنة872هـ/1468م، فكانت هذه المكتبات تشمل جميع الكتب تقريبا[1]، إضافة غلى انتشار المكتبات في الصحراء والبوادي فنجدها قد امتلأت بالكتب المختلفة التي تحوي كل العلوم والمعارف وذلك لمسايرة النهضة العلمية، فقد ساهمت هذه المكتبات إلى جانب الإعتناء الكبير بحركة نسخ الكتب في تنشيط الحركة العلمية والفكرية في المدينة، وأصبحت مدن الحواضر الإفريقية مركزا للإشعاع العلمي والفكري وأصبح لها مكان مميز في التأثير الثقافي والعلمي وتشكيل علاقات واسعة مع مختلف الحواضر المغاربية، هذا الأمر ساعد العلماء على العطاء والإنتاج في مجال العلم، وازدادت بذلك رحلات الطلاب من أجل طلب العلم[2].

فهذا الإهتمام للتمبكتيين الذين يقومون بجمع الكتب والمؤلفات النادرة إنما يدل على أن سكان بلاد السودان يولون إهتمام كبير بالكتب وخاصة الكتب الإسلامية التي تحتوي على شتى العلوم.

[1] عواطف تي، هدى جاب الله: تمبكتو وعلاقتها الثقافية مع بلاد المغرب في القرنين(9-10هـ/15-16م)، إشراف علال بن عمر، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الوسيط والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي،2017/2016م، ص30.

[2] نفسه، ص31.

المبحث الثاني: اهتمام الأوروبيين بالصحراء الإفريقية من خلال الرحالة والمستكشفين خلال القرن 19م.

_ أولا: الرحالات والمستكشفين الأوروبيين.

لعبت الصحراء نشاطا تجاريا كبيرا ومزدهرا مما استهوى الدول الأوروبية عامة، وفرنسا خاصة، ضمن اطار ما عرف بالتنافس الإستعماري، فعزموا على غزوها واستعمارها ومن أجل تسهيل ذلك اهتموا بمعرفة الطرق الصحراوية وتتبع الأنهار الإفريقية، فأنشأوا الجمعيات الجغرافية والعلمية التي أرسلت البعثات الإستكشافية، كما تحملت نفقات هذه البعثات، وحددت مهمتها خدمة للمشروع والمخطط الإستعماري، وكانت إنجلترا هي السباقة في هذا المجال حيث أسست الجمعية الإفريقية عام1788م، وقامت بإرسال بعثات متعددة من أجل اكتشاف أغوار القارة الإفريقية وأنهارها، ومن ضمن هذه البعثات نذكر[1]:

أ_ رحلة مونغو بارك(Mongo Park):1805م.

بعد رحلته الأولى في الصحراء الإفريقية أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، وإكتشافه للمناطق الصحراوية، مما جعله يحث الحكومة البريطانية على السيطرة واحتلال هذه المناطق وأن تدخل بقوة في إفريقيا حتى تستحوذ على هذه الخيرات والكنوز، وبعد 7 أشهر قضاها في مدينة كاماليا، عادر بارك إلى بلاد الماندنيغ مع قافلة متجهة إلى غامبيا، وفي الشهر الثاني من شهر ديسمبر أبحر هذا المكتشف إلى إنجلترا وبها كتب كتابا حول رحلته، قدم فيه معلومات جديدة وهامة عن افريقيا حيث استطاع أن يصحح المفاهيم الخاطئة لدى الأوروبيين عن إفريقيا بكونها بلاد الوحوش، وقد نال مونغو بارك برحلته هذه وكتابه صدى واسعا وشهرة فائقة، فاتصلت به الحكومة البريطانية من أجل تدعيم مشروع، وتقديم المساعدة اللازمة لرحلة

[1] هيبة كنيوة: نظرة الرحالة والمستكشفين الفرنسيين للمجتمع الجنوب الشرقي الجزائري(الزيبان. ووادي ريغ. ووادي سوف) 1844-1918م،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إشراف الجباري عثماني، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2015-2016م، ص ص13,12.

الثانية، وهكذا رجع بارك إلى إفريقيا مرة أخرى في31 جانفي1805م، فانطلق إلى غامبيا ومكث بها عدة أسابيع لإعادة الرحلة فكانت قافلة هذه المرة أكبر عددا وأكثر استعدادا[1]، وفي27 أفريل1805 غادر بارك غامبيا مع صاحبيه و35 جندي لبدء المغامرة الثانية، فوصلت البعثة إلى باماكو في أوت من السنة نفسها، ولكن تهاطل المطر وتفشي الأمراض والأوبئة في صفوف فرقته وموت العديد من رفاقه جعل الرحلة تتعطل، فمكث بارك في سانساندیغ ومنها كتب آخر خطاب له إلى زوجته ليؤكد لها أن حالته جيدة، وتنقطع أخباره بعد ذلك، وبعد التحريات التي قامت بها الحكومة البريطانية، تبين أن مونغو بارك قد وقع في كمين قتل فيه مع أصحابه[2].

ب_ رحلة روني كاييه(Rene Caille):1824-1828م.

لعل من أهم الكتابات الفرنسية التي اهتمت بمنطقة الساحل الإفريقي في امتدادها بين ضفتي الصحراء الكبرى الشمالية والجنوبية، نجد كتابات المغامرين والرحالة الجغرافيون الأوائل أمثال روني كاييه الذي يعتبر من رواد المغامرين الفرنسين الذين توغلوا في أعماق الصحراء الكبرى وهو أول أوروبي يعود بوصف دقيق لمدينة تمبكتو حيث سجل الكثير من الملاحظات وأنجز رسوما قيمة أثناء رحلاته، وبذلك قدم لفرنسا والمصالح المختصة بالتوسع الإستعماري معلومات جغرافية واقتصادية وثقافية هامة تخص منطقة الساحل الإفريقي، ساعدت فيما بعد في عمليات الغزو الفرنسي للجنوب الجزائري والتوسع في الصحراء الكبرى عامة[3].

[1] إبراهيم مياسي: ضمن كتاب طريق القوافل، ص ص82,81.

[2] إبراهيم مياسي: توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، المرجع السابق، ص43.

[3] كوثر هاشم وقشاشني علي: المرجع السابق، ص2.

وقد نظم روني كاييه أول رحلة له سنة 1816م حيث انتقل للسنغال ومنها نحو سواحل موريتانيا ثم سان لوي أين اتصال ببعثة انجليزية بقيادة الماجور غراي لعدم توفره على معلومات كافية للتوغل أكثر في دواخل إفريقيا، سيما وأن هذه الرحلة كانت خاصة ولم تتبانها أي جهة رسمية، وهو حال دون اتمامها فعاد لفرنسا[1].

أما رحلته الثانية فكانت بين سنتي 1824-1828م، حيث قام برحلة عبر الضفة اليمنى لنهر السينغال وذلك بين عامي 1824ـ1825م وبها عاش مدة طويلة مع البدو في هذه المناطق وتعلم لغتهم وأظهر نوعا من الإحترام والتقدير لمعتقداتهم وحفظ بعض آيات القرآن الكريم، ثم ادعى أنه من أصل عربي وهو مسلم[2]، وفي سنة 1827م شرع في رحلته إلى تومبكتو بعد أن خصصت له الجمعية الجغرافية الفرنسية مبلغ مالي قدر ب10,000 فرنك[3] كمكافأة لأول فرنسي ينقل ملاحظات دقيقة وإيجابية عن تومبكتو ودواخل القارة الإفريقية[4]، وفي يوم 9 جانفي1828م انطلق روني كاييه بعد أن غير اتجاهه نحو جني التي وصلها يوم 19 أفريل، من ثم سار بالداخل إلى مدينة تمبكتو التي حل بها يوم 20 أفريل1828م، ومكث بها أربعة عشر يوما، وقد أعجب بالمدينة وسكانها وتصرفاتهم ودون كل ذلك في مذكراته[5].

وكان لعملية المسح الجغرافي للمناطق التي عبرها روني كاييه، والتعريف بها ومميزاتها وما قدمه من معلومات مثل عدد سكان وطبائعهم وتنظيماتهم في مختلف المجالات، وكذلك المساوات والمسالك المؤدية لمختلف المدن الإفريقية وتحديد المسافات الفاصلة بين المراكز النشطة وكذ المناطق التي تتوفر فيها آبار المياه كما أنها ساعدت الفرنسيين على فتح أسواق لسلعهم ومنتجاتهم الصناعية[6]، وكذلك يعتبر روني كاييه من أوائل المغامرين الفرنسيين الذين

[1] إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص ص66,65.

[2] إبراهيم مياسي: توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، المرجع السابق، ص47.

[3] Cat, Édouard: A travers le desert, par É.cat, Paris,1892,p15.

[4] كوثر هاشم وقشاشني علي: المرجع السابق، ص2.

[5] إبراهيم مياسي: توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، المرجع السابق، ص47.

[6] كوثر هاشم وعلي قشاشني: المرجع السابق، المرجع السابق، ص2.

توغلوا إلى أعماق الصحراء، فعبرها من السينغال إلى مدينة تمبوكتو، ثم عاد في طريق توات وتافيلالت إلى فاس والرباط وطنجة، وبذلك فقد قدم إلى فرنسا والمصالح المختصة بالتوسع الإستعماري معلومات جغرافية وحضارية هامة عن هذه المناطق، ساعدتها فيما بعد في عمليات الغزو الفرنسي للجنوب الجزائري والتوسع في الصحراء الإفريقية، وكشف لها أسرار هذه الأصقاع[1].

جـ_ رحلة هنري بارث(Henri Barth): 1850ـ1865م.

لقد شجعت رحلة روني كاييه بريطانيا على أن تعاود كشف الصحراء، التي تفصل شمال إفريقيا عن نهر النيجر فأرسلت المستكشف الألماني هنري بارث[2]، الذي تعلم في جامعة برلين وتجول في ضفتي حوض البحر الأبيض المتوسط راجلا مما جعله يكتسب خبرة في المشي، كما تعلم اللغة العربية لذلك اتصلت به الجمعية الإنجليزية من أجل تنظيم تجارة لها في السودان والصحراء وخاصة تجارة العبيد، وقد رافق بارث في رحلته جيمس ريشاردسون وأوفروانغ وغادروا طرابلس يوم 24مارس 1850م من أجل الوصول إلى نهر النيجر، فوصلوا إلى بورنو في جانفي 1851م وهناك افترقوا[3]، فقصد بارث بحيرة تشاد فوصلها بعد مدة ثم انحدر إلى جنوب البحيرة يولا ومنها قام بالدوران حول البحيرة وذلك في دائرة يقدر شعاعها في بعض الأماكن ب300 كلم[4]، وقبل دخول فصل الشتاء اتجه بارث نحو الغرب فوصل إلى كاسينا في بداية السنة الموالية، ثم دخل بعد ذلك إلى مدينة كوكوتو، ومنها واصل طريقه غربا حتى وصل نهر النيجر فعبره ثم اتجه شمالا إلى أن دخل مدينة تمبوكتو وذلك في شهر سبتمبر1853م، ومكث بها مدة ثمانية أشهر، ثم غادرها راجعا إلى طرابلس عن طريق مغاير باتجاه الشمال إلى أن وصل مدينة "ساي" ثم أخذ الطريق الذي سلكه في الذهاب إلى "كوكا" ومنها إلى طرابلس التي

[1] زاهر رياض: استعمار إفريقيا، (د.ط)، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965، ص113.

[2] نفسه، ص113.

[3] Cat: op_cit, p20.

[4] إبراهيم مياسي: مقاربات في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص33.

وصلها يوم 28أوت1855م، ليعود إلى لندن يوم 6 سبتمبر1855م، وهكذا استطاع بارث أن يقدم معلومات دقيقة ومهمة عن الصحراء وتشاد حيث نجح في تحقيق الكثير من المعلومات الجغرافية والجيولوجية، وحتى التاريخية للسكان، كما ساهم في ربط العلاقات التجارية بين أوروبا وهذا الجزء من العالم، لذلك أُعتبر بارث من أكبر المستكشفين العلميين في القارة السمراء، حتى أنه قبل وفاته بقليل، أي في شهر جانفي من سنة1865م، كتب مقالا نشره في الجمعية الجغرافية بباريس حث فيها فرنسا على القيام بعمل جبار وواسع في الصحراء الإفريقية، وأن تستحوذ على هذه المناطق وتحترم معتقداتهم وخاصة الدين الإسلامي وأن تستعمل معهم أساليب متعددة منها أن تحسن اختيار روادها لهذه المهمة، وأن تحمل السيف والبندقية في يد والكتاب والقلم في يد أخرى، وبذلك يمكن لها أن تتحصل على نتائج باهرة في هذا الميدان، ذلك أن الفرنسيين قد أولوا اهتماما كبيرا بالصحراء للتعرف على خباياها ومنها معرفة الطرق الصحراوية ومسالك القوافل إلى السودان، ففي عام 1855م قدمت الجمعية الجغرافية بباريس مبلغا بقيمة ستة ألاف فرنك، للذي يقوم برحلة من الجزائر إلى السنغال أو بالاتجاه المعاكس بشرط أن يمر بمدينة[1] تمبوكتو[2]، ويأتي بمعلومات دقيقة وجديدة حول القوافل التي تعبر هذا القفار، وذلك من حيث اتجاهاتها وأهميتها ومواعيد سفرها، وهذا من أجل الإستحواذ على النشاط التجاري الواسع المزدهر بالصحراء، وتسهيل عمليات تنقل قواتها الغازية للصحراء ومن خلال البعثات الإستكشافية والحملات العسكرية ودراسة كتب الرحالين والمؤرخين المسلمين توصلوا إلى معرفة طرق القوافل الصحراوية[3].

[1] إبراهيم مياسي: مقاربات في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص34.

[2] EL Hage Abd Salam Shaabeeny: An account of Timbuctoo and Housa territories in the interior of Africa, By EL Hage Abd Salam Shaabeeny, London, 1820,p2.

[3] إبراهيم مياسي: مقاربات في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص35.

د_ هنري دي فيرييه:

هيأ هنري دي فيرييه نفسه لمسار رحلته في الصحراء الجزائرية، ورسم أهدافا لهذه الرحلة وهو أن يضع على عاتقه استكشاف الصحراء الجزائرية والمغربية بكل امتدادهما، وأن يتحصل على جميع المعطيات الجغرافية والعلمية التي تهم السلطات الفرنسية، وفتح علاقات مع الأهالي قبل ربط علاقات تجارية مع فرنسا والجزائر والسودان، وفي سنة 1857م كان يريد أن يحقق ما أنجزه بارث، وكان يهدف إلى الوصول إلى توات من أجل أن يكون للمستعمر كل المعلومات التي تخص المناطق الصحراوية وتصيح فيما بعد تحت التأثير الفرنسي.

فقام برحلة تمهيدية إلى الجزائر، وزار خلالها الهضاب العليا والأغواط والجانب الصحراوي من الأوراس[1]، حيث استقر في الصحراء ولا سيما في الأغواط التي قال عنها" أن لها طابعا من جمال خلاب، ومن العبث أن تبحث عن صورة مماثلة لها"، وقام أيضا برحلة إستكشافية التي أرادها أن تكتسي طابعا علميا بكثير من العناية والتدقيق، فإطلع على كثير من الكتب، واتصل بكثير من المتخصصين الأوروبيين في شؤون الصحراء، وبعد سنة من التحضير والإستعداد قام بوضع قواعد ستمكنه من نجاح رحلته حيث يقول:" كنت أعرف جيدا الرحلة التي أقوم بها ليست خالية من الأخطار، ولكنني كنت أشعر بثقة كبيرة في قوتي وأنا أتجنبها بالصبر والحذر والنشاط، وأن تنتهي هذه الرحلة على خير".

وفي بداية انطلاقته في الصحراء الجزائرية، طمأن الفرنسيين وأعلن هدفه الصريح بقوله للقائد الأعلى لبسكرة "تحتاجون لشي جميل لفعلة هو أنني سأذهب لتوات[2]، وفي يوم8 ماي

[1] ينظر الملحق: رقم5، ص149.

[2] إبراهيم مياسي: مقاربات في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص49.

1859م اتجه مباشرة إلى بسكرة عبر قسنطينة وباتنة وبقي فيها مدة5 أيام حتى جمع المعلومات الكافية حولها وأيضا حول منطقة قورارة[1] ثم انطلق إلى الأغواط وسوف وبسكرة و ورقلة، وكان هنري دي فيرييه* يرتدي أثناء رحلته ثياب الأهالي، ولكنه كان يسافر دون تستر، ولم يكن يكتم دينه المسيحي، وقد استعمل إسم سعد أثناء رحلته، وبعد هذه الرحلة في جنوب الجزائر، قام دي فيرييه برحلة أخرى في جنوب قسنطينة وتونس وكانت في البداية النصف الأول من السنة1860م، فذهب لإستكشاف الصحراء التونسية والجريد ونفزاوة وإثر عودته إلى بسكرة في شهر جوان، استلم تعليمات من الحكومة الفرنسية للانطلاق في استكشاف منطقة التوارق، وخلال مكونة في منطقة بسكرة، تعامل دي فيريية مع مستكشف دوكلومب، وحاول أن يضع معه خريطة لمدينة بسكرة.

وبعد هذه الرحالة كلفة الوالي العام للجزائر بأن يقوم إلى التوارق وقدم له الدعم الكافي من أجل ربط علاقات تجارية بين فرنسا والتوارق، فغادر بسكرة خلال شهر جوان1860م[2]، وفي بسكرة تعرف على الشيخ أق بكري الذي سافر معه إلى غدامس يوم11 أوت1860م[3]، ومكث بهامدة طويلة في انتظار وصول قنصل فرنسا بطرابلس، ولذلك بقي يبحث عن البقايا الحضارية للمنطقة على تراث فكري بها، فوجد عدة آثار رومانية، وفي يوم 7سبتمبر ذهب إلى

[1] إبراهيم مياسي: الإهتمام الفرنسي بالصحراء، ضمن كتاب طريق القوافل، المرجع السابق، ص87.

*هنري دي فيرييه: هو رحالة وجغرافي فرنسي ولد في 18فيفري1840م، كان والده ينوي تحضيره لمهنه فأرسله لمتابعة دراسته في سبتمبر1854م حتى نهاية 1885م، فكان تلميذا مجتهدا له علامات جيدة، وكان منذ صغره يدون الملاحظات حول الطبيعة والنباتات ودونها في العديد من المقالات، فقد كان هذا الشاب الصغير يتمتع بعقل مفكر، وكان يحلم أن يمشي على خطى آثار بارث فتعلم اللغة العربية ومختلف العلوم الطبيعية. ينظر: بشيرة قرايفة ورجاء تواوة: البعثات الإستكشافية الفرنسية للصحراء الجزائرية خلال القرن 19م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إشراف عاشور قمون، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2016-2017م، ص49.

[2] بشيرة قرايفة ورجاء تواوة: المرجع السابق، ص49.

[3] إبراهيم مياسي: توسع الإستعمار الفرنسي للجنوب الغربي الجزائري، المرجع السابق، ص88.

تمبوكتو وبعدها عاد أدراجه إلى غدامس[1]، حيث وجد في انتظاره رسالة من بعض كبار المسؤولين الفرنسيين يخبره فيها أن الإمبراطور نابليون الثالث منهمك في إعداد كتاب عن الصحراء في عهد الرومان، ويحثه على أن يعمل لتوفير الوثائق الإمبراطورية عن الصحراء، ففي ذلك الوقت وعلى الرغم من الحالة الصحية السيئة التي كان يعاني منها، والضائقة المالية التي يشكو منها، وصلته منحة حكومية مقدارها 2000فرنك، وذلك في سنة1861م، فإستعان بها في مختلف أغراض الرحلة وبعد كثير من المشقات وصل إلى غات يوم 18جويلية سنة1861م، والتي اعتبرها مهمة من حيث تجارتها الخاصة وسوقها السنوي الكبير، ونقطة عبور القوافل الآتية والذاهبة إلى أجر.

وفي سنة 1863 تحصل دي فيرييه على الميدالية الذهبية من طرف الشركة الجغرافية، لأنه حقق لها استكشافات مجهولة عن القارة الإفريقية، وبذلك قدم معلومات مهمة عنها، وأكمل بذلك أعمال هنري بارث[2].

هـ_ رحلة بول سولايي(P.Soleillet): 1873ـ1874م.

لغرض اكتشاف الصحراء وطرقها المؤدية إلى السودان الغربي خرج بول سولايي من الجزائر[3] يوم29 ديسمبر1873م[4]، وبعد ثلاثة وأربعين يوما من السير وصل إلى وارجلان ومكث فيها ثلاثة أيام تعرف خلالها على المدينة، وغدرها يوم 12 فيفري 1874م بعد أن تزود بالمؤونة، ليصل إلى متليلي في 14 من نفس الشهر ليبدأ في رحلته الحقيقية عبر الصحراء، ومنه غادرت القافلة المتكونة من مهري وجمل يحمل الهودج، وثمانية جمال تحمل الزاد والأمتعة وخادمين، والكاتب الخاص، ومرافق يدعي قدور، وأربعة عشر حارسا مزودين بالسلاح

[1] هنري دي فايريه: مذكرات الطريق رحلة في الواحات الجزائرية والتونسية 1860_1861م، تر: عبد القادر ميهي، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، 2014م، ص7.

[2] بشيرة قرايفة ورجاء تواوة: المرجع السابق، ص50.

[3] أحمد ذكار: المرجع السابق، ص158..

[4] PAUL SOLEILLET: L'AFRIQUE OCCIDENTALE ALGÉRRIE,MZAB, Tildikelt,1877, p93

وراع للجمال وطبيب القافلة، وإذا أحصينا هذه القافلة يكون العدد الإجمالي ستة وعشرين فردا وعشرة جمال وثلاثة أحصنة.

انطلقت القافلة على الساعة الثالثة مساء من اليوم 16 فيفري 1874م، حيث قطعت وادي متليلي ثم شعبة سيدي الشيخ وقبة سيدي الحاج الدين ومقام سيدي الحاج بحوص إلى حين وصولها وادي سبسب وقضاء الليلة هناك، وفي اليوم الموالي واصلت سيرها إلى أن وصلت إلى الوادي الطويل أين وجدت خيم الشيخ أحمد[1]، ومكثت القافلة مدة يومين في هذا المكان، وفي يوم 19فيفري 1874م شدت الرحال لمواصلة المسير لتمر على وادي المقسم ومنه تتجه ناحية الجنوب الغربي لتقطع عبرها أربعة وديان[2] إلى أن وصلت إلى المنيعة وخرجت منها يوم27 فيفري 1874م.

وفي يوم 01 مارس1874م سلكت طريق المنية متوجه إلى عين صالح، ومرورها بالوديان والآبار الموجودة عبر هذا المسلك إلى أن وصلت إلى عين صالح صبيحة يوم 06 مارس 1874م[3]، وجدت في استقبالها حكام عين صالح وهم أولاد باجودة، بعد أن قطعت المسافة بين وارجلان وعين صالح لمدة 22يوما[4].

قد عرفت منطقة الصحراء الإفريقية العديد من الرحالة والمستكشفين الأخرين الذين قدموا معلومات هامة للاستعمار الأوروبي لتلك الرحالات التي قاموا بها، أمثال: كل من أودني و كلابرتون اللذان تجولا في الغرب الإفريقي وذلك في سنة1924م وكذا بعثة لفيل الفرنسي الذي قام بجولة علمية إلى وارجلان1861م، وركز فيها عن دراسة الآبار التقليدية، أما لويس ساي

[1] أحمد ذكار: المرجع السابق، ص ص159,158.

[2] نفسه، ص160.

[3] إبراهيم مياسي: الاهتمام الفرنسي بالصحراء، ضمن كتاب طريق القوافل، ص90.

[4] أحمد ذكار: المرجع السابق، ص160.

فقد قام برحلة إلى بلاد الهقار عبر الصحراء ومنه إلى ورجلان وذلك سنة1877م، وغيرهم من الرحالة الأخرين.

_ ثانيا: الوسائل والأساليب التي اعتمدها الاستعمار الأوربي في تسيير التجارة(الإستعمار الفرنسي نموذجا).

1_ المعاهدات والإتفاقيات:

أ_ معاهدة لالة مغنية:

هي معاهدة وقعها المغرب مع فرنسا بتاريخ 18مارس1845م بمدينة مغنية الجزائرية التي أخذ اسمها منها، وذلك وبعد انهزمت أمامها في معركة إيلسي في 14 أوت 1844م، وقد وقع المعاهدة عن الجانب المغربي عاهل وجده احميدة بن علي الشجعي وعن الجانب الفرنسي الجنرال الكونت دولاري، وتضمنت المعاهدة 7شروط، وكان من أهم بنودها رسم الحدود بين الدولة المغربية ومستعمرة الجزائر الفرنسية، فتم الإتفاق على أن تمتد الحدود من قلعة عجرود(السعيدية حاليا) إلى ثنية الساسي(في طول يبلغ حوالي 140كلم من الساحل إلى ثنية الساسي) في حين بقيت المناطق الجنوبية دون تحديد للحدود بدعوى أنها أراضي خالية لا تحتاج إلى رسم وتوضيح للحدود[1].

وقد تعمدت فرنسا على عدم تحديد الحدود الجنوبية لتسهيل التوغل داخل الأراضي المغربية، كما فقد المغرب بموجب معاهدة مغنية جزاء من أراضيه(الصحراء الشرقية) التي الحقت بالجزائر.

معاهدة لالة مغنية 18مارس 1845م هي تقييد إلزامي للمملكة المغربية سنة1845م بعدم دعم المجاهدين الجزائريين يأتي هذا الإلزام بعد دعم المجاهدين الجزائريين، ويأتي هذا الإلزام

[1] موقع هسبريس الرباط، الأحد 22افريل 2018م، الساعة 10:20.

بعد تعنت من السلطان المغربي ضد مطالبه فرنسا المتكرر له بالكف عن دعم المجاهدين ضدها بالجزائر.

اضطر المغرب للتوقيع على معاهدة لالة مغنية بعد قصف شديد للقوات الفرنسية للمدن الساحلية المغربية أودي بحياة الآلاف، بالإضافة للضعف العسكري للمملكة أمام الترسانة الفرنسية، ولكن السلطان ظل يرفض الموافقة على الإتفاقية ويطالب بمراجعتها وعندما طلبت السفارة الفرنسية حضور المفاوضين المغربيين ومعهما نسخة من الإتفاقية مصادق عليها من السلطان لتقع مبادلتها مع تلك المصادق عليها من ملك فرنسا رفض، معتبرا أمر الحدود معلقا وقد اشتد الضغط الفرنسي على السلطان عبد الرحمان ليصادق على الإتفاقية، إلى درجة التهديد بقنبلة الموانئ المغربية واحتلال مدينة وجدة إذ ارفض، فأعلن قبوله المصادقة على الشروط التي لا ضرر فيها على المغرب وهذا بعدما تم إدخال تغييرات عليها[1].

ب_ معاهدة غدامس:

تمت هذه المعاهدة بين الإستعمار الفرنسي والشيخ إيخنوخن، وذلك من أجل فتح أسواق للتجارة الفرنسية، فاستدعوا زعيم التوارق الديني الشيخ عثمان لزيارة العاصمة، وقسنطينة خلال حكم الماريشال راندون، ثم دعوه مرة أخرى في عهد الماريشال الدوق دومالاكوف بيلسي لزيارة الجزائر العاصمة، ومدينة باريس بصحبة اثنين من أفراد عائلته، وقد قبل هو والشيخ إيخنوخن[2] إبرام اتفاقية26 نوفمبر1862م بغدامس مع البعثة الفرنسية التي توجهت إلى هناك بزعامة الضابط ميرشير، والضابط بولينياك، والمهندس فاتون والطبيب هوفمان، وقد أمضى هذه الإتفاقية الشيخ إيخنوخن عن قبائل أزقور، والضابط ميرشير والدوق دومالاكوف، ومن أهم بنودها[3]:

[1] https: // ar.m, wikipedia, org, 22-4-2018, 10:10.

[2] يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص ص61,60.

[3] إبراهيم مياسي: توسع الإستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، المرجع السابق، ص82.

_ إقرار الصداقة والتبادل بين السلطان الفرنسية، ورؤساء مختلف فروع وقبائل التوارق.

_ يمكن للتوارق أن يمارسوا العمل التجاري في كل أسواق الجزائر دون أي قيد أو شرط ماعدا أداء المكوس العادية.

_ يلتزم التوارق بتسهيل وحماية عبور المفوضين الفرنسيين لبلادهم ذهابا وإيابا إلى بلاد السودان، وحماية بضائعهم التجارية على أن يدفعوا المكوس العادية (الضريبة).

_ تلتزم السلطات الفرنسية، وزعماء التوارق بفتح طرق التجارة للفرنسيين ــ تلتزم السلطات الفرنسية، وزعماء التوارق بفتح طرق التجارة للفرنسيين إلى السودان، وإصلاحها وتحديدها، وتحديد المكوس وضبطها، وإصلاح الآبار وإزالة كل العراقيل في وجه نشاط التجار الفرنسيين.

_ تدفع القوافل التجارية الفرنسية ضريبة محددة للشيخ إيخنوخن، ويحددها الحاكم العام الفرنسي والشيخ إيخنوخن[1].

[1] يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، المرجع السابق، ص ص152,151.

ج_ معاهدة بني ميزاب:

كانت هذه المعاهدة بين الإستعمار الفرنسي ومنطقة بني ميزاب وذلك بتاريخ 19 افريل 1853م تضمنت هذه المعاهدة باعتراف بني ميزاب بالسلطة الفرنسية وحقها في بسط حمايتها على الميزابين مع دفع ضريبة سنوية لفرنسا، تقاسمها مع مدن ميزاب السبع[1]: تجنينت، أت بونور، تغردايت، أتمليشت، أت إيزجن، أت ايبرقان، تيقرار[2]، مقابل تعاهد فرنسا بضمان حريتهم التجارية بين التل والصحراء والابقاء على عادتهم، وأعرافهم، وطقوسهم الدينية، ومؤسساتهم القضائية، كما هي بذلك أصبح بني ميزاب جزاء تابعا لفرنسا[3].

2_ نتائج مؤتمر برلين على تقسيم القارة الإفريقية:

وبالرغم من أن الإستعمار الأوروبي قد حصل على مصالح تجارية في مناطق نفوذه إلا أن سيطرته محدودة وكانت رغبتهم في السيطرة المباشرة على هذه المناطق وقد منح لهم قرارات مؤتمر برلين ذلك[4]، وذلك بتقسيم القارة الإفريقية إلى مناطق نفوذ.

_ وقد قسمت القارة ونظم التسابق الإستعماري عليها بشكل خبيث وماكر، ووضعت أسس عامة لهذا التصرف، ولقد وزعت مناطق النفوذ في القارة الافريقية على الشكل التالي:

أ_ منطقة النفوذ الفرنسي تشمل كل من بلدان شمال إفريقيا الغربي، وإفريقيا الغربية والوسطى والإستوائية.

ب_ منطقة النفوذ الإنجليزي وتشمل غرب إفريقيا زيادة على جنوب إفريقيا وشرقها وشمالها الشرقي، وساحل الذهب ونيجيريا....إلخ.

---

[1] سميرة دعاشي: التجارة الفرنسية عبر الصحراء الجزائرية ودورها في تراجع التجارة التقليدية 1900_1945م، جامعة لمين دباغين، سطيف، (د.س)، ص6.

[2] الموسوعة الحر، الإثنين 23 افريل 2018م، الساعة 11:15 صباحا.

[3] سميرة دعاشي: المرجع السابق، ص6.

[4] جعفر عباس حميدي: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 2002م، ص103.

ج _ منطقة النفوذ الألماني وتشمل الكونغو، والكاميرون، وجنوب غرب إفريقيا(ناميبيا) في الغرب...إلخ[1].

وانتهي المؤتمر بتقسيم القارة وتوزيع أقاليمها وإصدار قرارات بشأن حرية الملاحة في نهري النيجر والبنوي، وإرساء القواعد التي يتعين مراعاتها مستقبلا فيما يتعلق باحتلال الأراضي على سواحل إفريقيا[2]، وقد اتفقت فيما بينها بمراعاة الأمور التالية:

1_ لا تعلن أية دولة حمايتها على أية منطقة إلا بعد أن تطلع باقي الدول الأخرى على ذلك.

2_ لا تقوم أية دولة بضم منطقة إلا إذا كان ذلك مؤيدا باحتلال فعلي لها.

3_ الإتفاق على حرية التجارة المشروعة في حوض نهري الكنغو والنيجر، وكذلك حرية الملاحة الدولية[3].

4_ وقد أقر مؤتمر برلين بتاريخ 26 فيفري 1885م في مادته 26من الفصل السابع حرية الملاحة في نهر النيجر بكل فروعه لجميع الدول على قدم المساواة[4].

[1] يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن16م إلى مطلع القرن20م ويلية الإستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيط، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص ص30,29.

[2] جعفر عباس: المرجع السابق، ص104.

[3] فيصل محمد موسي: المرجع السابق، ص133.

[4] محمد صالح حوتية: توات والأزواد، ج2، ص454.

3_ المشاريع:

أ_ مشروع السكة الحديدية للنقل الصحراوي:

يرجع اهتمام فرنسا بمشروع خط السكة الحديدية بالصحراء إلى المهندس دي دوبونشال الذي قدم أول الدراسات سنة 1874م أشار فيها إلى هذا الخط سيسمح بالتوغل داخل بلاد السودان والإستحواذ على تجارتهم وهدف هذه السكة الحديدية من عبورها عبر الصحراء هو إستجابة لحاجات المستعمر العسكرية لبناء سياسة للإمبراطورية الفرنسية الناشئة في حوض، البحر الأبيض المتوسط، وغرب إفريقيا لأنها تعتبر من الوسائل الفاعلة في بسط فرنسا لسياستها واستعمارها للقارة الإفريقية[1] ومن أهداف هذا المشروع:

_ ربط مستعمراتهم المختلفة ببعضها البعض في الشمال والغرب والوسط.

_ خدمة التجارة الفرنسية وفتح الأبواب والسبل لها في كل أسواق إفريقيا.

_ تسهيل عملية تنقل قواتهم العسكرية الغازية[2].

_ القضاء على تجارة القوافل العابرة للصحراء ما بين تينجورارين، وورقلة، ومتليلي، والمنيعة إلى آقبلى وإلى تومبكتو.

وتجعل هذه السكة الحديدية محطات يستفيد منها خمس مائة ألف5000.000 ساكن وأربع مائة وخمسون450 قرية وتساهم في غرب سبع ملايين نخلة7.000.000 الذي تعطي إنتاجا معتبرا من التمور[3]، وبما أن الخط الحديدي العابر للصحراء قد يتعدى ويتفاوت حدود الصحراء الحالية فإنه يمكن لهذا المشروع جلب كل التيارات التجارية الدولية إلى الصحراء الجزائرية لأنها تخدم المستعمر وذلك عندما وضع موريس أونوري رسالة دكتورا في النقل

[1] محمد صالح حوتية: توات والأزواد، ج2، ص467.

[2] يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، المرجع السابق، ص90.

[3] محمد صالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ج2، ص468.

الصحراوي والتوسع الفرنسي في الحالية فإنه يمكن لهذا المشروع جلب كل التيارات التجارية الدولية إلى الصحراء الجزائرية لأنها تخدم المستعمر وذلك عندما وضع موريس أونوري رسالة دكتورا في النقل الصحراوي والتوسع الفرنسي في إفريقيا واستعرض بها مختلف المشاريع التي قام بها كل من روني كاييه ودوبشنيل وحلل بها الفوائد الإقتصادية والتجارية والسياسية لهذا المشروع، إضافة أن فرنسا عندما أرادت القيام بهذا المشروع هو أن تفتح مواصلاتها إلى بقية مستعمراتها قبل أن تقع في أيادي انجلترا[1]، وقد قسم هذا المشروع إلى ثلاثة أقسام:

_ القسم الأول: من وهران إلى الأوتاد وهي مسافة مقدرة بحوالي أربع مئة كيلومتر 400 تنطلق من حوض البحر الأبيض المتوسط وهران إلى غاية مدينة المشرية بمسافة تقدر بـ ثلاث مئة وخمسة وعشرون325كلم ثم من المشرية إلى عين الصفراء ومن عين الصفراء إلى فقيق ثم إلى منطقة الأوتاد.

_ القسم الثاني: وهو ينطلق من الأوتاد إلى تاوريرت وتقدر المسافة بحوالي 800كلم ويقع هذا القصر في منطقة توات السفلى وتعتبر هذه المنطقة هي الوسطى ما بين غرب أفريقيا وحوض البحر الأبيض المتوسط.

_ القسم الثالث: وهو من تاوريرت إلى تمبكتو وهذا القسم هو أطول القسام يمتد من مناطق خالية قليلة السكان والآبار المائية[2].

_ لكن هذا المشروع تحقق منه القسم الأول الذي يعبر من وهران إلى الأوتاد، والقسم الثاني والثالث مازال قيد التنفيذ[3].

---

[1] بشيرة قرايفة ورجاء تواوة، المرجع السابق، ص116.

[2] محمد صالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ج2، ص ص470,469.

[3] نفسه، ص471.

ب_ مشروع البحر الداخلي الصحراوي الإفريقي:

لقد واجه الفرنسيون صعوبات كثيرة في غزو الجنوب الجزائري والصحراء وذلك يرجع إلى عدة أسباب بشرية وطبيعية ومن بينها مقاومة السكان الرافضين لهذه البعثات إضافة إلى القساوة الطبيعية المتمثلة في الإرتفاع الشديد لدرجة الحرارة والجفاف إضافة إلى تباعد المراكز العمرانية عن بعضها البعض[1]، وبعد نجاح فيرديناند دوليسبس لحفر قناة السويس، حفز فرنسا لإعداد مشروع البحر الداخلي الصحراوي الإفريقي، حيث تحمس ضابط الأركان العامة فرانسوا رودير لهذا المشروع الضخم واتصل بعدة مغامرين وعلى رأسهم دوليسبس، وقد حددت منطقة أحواض الجريد التونسي كنواة لهذا البحر الداخلي[2] الذي يمكن تحديد معالمه على شكل التالي:

_ العرق الشرقي الكبير ويشمل المناطق المحصورة بين خليج قاس شرقا ، وجبال أولاد نايل وهضبة ميزات غربا، وجبال الأوراس والنمامشة وتبسة والظهر التونسي شمالا، وجبال هقار جنوبا، ويشمل على عدد كبير من الأحواض والشطوط الداخلية المالحة خاصة في الشمال الشرقي وبعد دراسة رودير للمنطقة من ناحية الجغرافية والطبيعية، والفلكية، إكتشف أن شط الجريد يقع فوق مستوى سطح البحر على عكس أحواض ملغيغ، وشط الحضنة، إلا أنه لم يفقد الأمل في إنجاز المشروع وإعتمد هو ودوليسبس على النتائج الحسنة التي سيحققها هذا البحر من مختلف النواحي والمجالات، فمن الناحية العسكرية والسياسية يسمح بنقل القوات الفرنسية بسهولة إلى جنوب الجزائر وتونس ومنع السكان من الثورة ضد السيطرة الفرنسية.

[1] بشيرة قرايفة ورجاء تواوة، المرجع السابق، ص ص117,116

[2] يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، المرجع السابق، ص99.

_ أما من الناحية الإقتصادية فيسمح هذا البحر برفع منسوب المياه الجوفية في الشمال وخلق مساحات واسعة خصبة للإستغلال الزراعي للصحراء[1]، لكن هذا المشروع برزت حوله معارضة ولم يتم إنجازه.

4_ تحكم فرنسا في تسيير التجارة الصحراوية والآثار الناجمة عنها:

كان الفرنسيون على غرار الإنجليز يقيمون مراكز أو محطات تجارية من أجل التبادل التجاري وتعيين قناصلة من أجل الحصول على إتفاقيات مربحة مع ملوك و شيوخ القبائل، حيث حددت فرنسا منطقة الأغواط وبسكرة كمراكز انطلاق واستقبال للقوافل، ومن أهم المراكز التجارية التي أحدثتها: مركز عين الصفراء الذي أنشأته فرنسا وذلك لأهميته التجارية وكذلك مركز بن ونيف، وبشار حيث تقدمت التجارة هناك بفعل اتصال المنطقة بخط السكة الحديدية، ومن ثمة تحولت بشار إلى سوق هام يعج بالتجار والسلع من جميع الأنواع، كما أنه باحتلال فرنسا لعين صالح جعلها تتحكم في هذا السوق نظرا لموقعه الإستراتيجي لأنها تقع على مسافة متساوية بين الجزائر شمالا وتمبوكتو جنوبا وموغادور غربا وطرابلس شرقا وبالتالي فهي ملتقى الطرق الصحراوية التي تربط القارة ببلاد السودان فضلا غلى أنها مركز جيد لتمويل الطوارق، ونفس الأمر بالنسبة لإفريقيا الغربية[2].

وتعمل فرنسا على بناء مراكز تجارية كلما وصلت إلى منطقة إستراتيجية ومن أهمها: مركز السنغال وساحل العاج، ومركز باماكو ومركز تمبوكتو، وجني، ومناطق النيجر عبر غورما وشمال الداهومي وزندر، فأنشأت مراكز بها ومنها مركز ساي سنة 1896م لتثبيت موقعها على النهر وتمديده، وفي خضم التسابق الإمبريالي للوصول إلى بحيرة تشاد وتم إنشاء مركز زندر، وهو مركز عبور مهم بين طرابلس وتمبوكتو، فهذا المشروع ينم عن إستراتيجية سياسية واقتصادية حيث يحقق لها اتحاد أملاك إفريقيا الغربية والوسطى والجزائر، وتحويل

[1] يحي بوعزيز: ثورات القرن التاسع عشر، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص ص342,340.

[2] سميرة دعاشي: المرجع السابق، ص ص8,7.

المحور التجاري أقدز، كانو باتجاه كانم انطلاقا من زندر وهو ما أدى إلى إنشاء العديد من المراكز والوكالات التجارية والذي بلغ عددها سنة 1882م إلى 33 وكالة ومن أهمها: الوكالة التجارية بوداي سنة 1842م[1].

وقد قام الفرنسيين أيضا بالتحكم في طرق التجارة الصحراوية وذلك من خلال الترويج في منح امتيازات واسعة لملكية الأرض والتحكم في المحاصيل الزراعية (الفلاحة الصحراوية) الذي أصبح نشاط رئيسي بالنسبة لهم، ومن أهم المحاصيل التي اهتم بها الفرنسيون هي ، زراعة الحبوب، والتبغ، وزراعة الحمضيات بكل أنواعها، وكذلك زراعة النخيل خاصة في الجنوب الجزائري وإفريقيا الغربية[2]، كما أدخل الفرنسيون زراعة الفول السوداني بالسنغال في النصف الثاني من القرن 19م، أين لاقت زراعته نجاحا كبيرا وأصبح محصولا رئيسيا في منطقة غرب إفريقيا، وقد تحول إنتاجه مصدرا للدخل تفوق أرباحه تجارة الرقيق، والذهب والعاج التي كانت تحملها القوافل عبر الصحراء[3]، وقد قاموا بتغيير المكاييل والموازين أيضا وعوضوها بمكاييلهم وموازينهم مع فرضها على السكان بدعوى أن الأحجام والأوزان تختلف من مكان إلى آخر، وفي النصف الثاني من القرن 19م أدخلت فرنسا النظام النقدي وتشجيعها على إستخدامه، من خلال إصرارها على دفع أجور العمال بالنقود المعدنية الأوروبية والإصرار على تحصيل الضرائب نقدا[4]، وبعد احتلال فرنسا للجزائر والأزواد فرض عليهما الفرنسي كأساس للتعامل، بالإضافة إلى النقود المغربية المتمثلة في البندقي والعشراوي ونصف والدرهم[5].

[1] سميرة دعاشي: المرجع السابق، ص8.

[2] إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص363.

[3] نفسه، ص363.

[4] سميرة دعاشي: المرجع السابق، ص9.

[5] محمد صالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ج2، ص136.

_ ولقد نتج عن هذا التحكم عدة آثار منها الإقتصادية والإجتماعية نذكر منها:

أ_ الأثار الاقتصادية:

تحكم الفرنسين في التجارة الصحراوية تسبب في كارثة حقيقة على الإقتصاد الصحراوي ويتجلى ذلك في:

_ إستنزاف الثروات الباطنية لأن المستعمرين أخذوا على عاتقهم مهام التنقيب عن المياه عن طريق حفر آبار في العديد من المناطق الصحراوية.

_ تراجع الإقتصاد الريفي المنتشر في الواحات الصحراوية[1].

_ كما شن الإستعمار حملات عنيفة على التجار العرب في أنحاء إفريقيا لأنهم يحملون معهم الإسلام متهما إياهم إنهم تجار رقيق، وبذلك وضعت قيودا على تنقلاتهم حتى تفسح المجال للبعثات التبشيرية التي تدفقت على مختلف الأماكن[2].

_ تراجع تجارة القوافل التي بدأت تتلاشى شيئا فشيئا ابتداء من سنة 1890 وتراجع تسويق البضائع والسلع السابقة الذكر، وخاصة إنتاج التمور التي سدت كل الطرق أمامها وخاصة نحو السودان، وكذلك القضاء على تجارة القوافل بإنشاء العديد من الطرق بجانب الخطوط الحديدية، بحيث أصبح يتم نقل البضائع والسلع الصحراوية عن طريق العربات والشاحنات التي كانت تنتقل عبرها، وهو ما أدى في الأخير إلى ضعف التبادل التجاري بين الشمال والجنوب، كما أن العديد من المنتوجات أصبحت غير رائجة نظرا للمنافسة التي وجهتها من السلع والبضائع الصحراوية وخاصة في الجنوب الغربي الجزائري لجأ العديد من التجار إلى ممارسة التجارة

[1] عميراوي أحميدة: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844ـ1916م، (د.ط)، دار الهدى، عين مليلة(الجزائر)، 2009م، ص ص138,136.

[2] عمار هلال والهادي مبروك الدالي: دراسة في حركات التبشير والتنصير بمنطقة إفريقيا فيما وراء الصحراء، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2002م، ص73.

الخفية الشيء الذي دفع بالفرنسيين إلى شن عملة الحجز الاقتصادي للبضائع وبيعها في المزاد العلني، الأمر الذي ضاعف من أرباحها[1].

ب_ الآثار الاجتماعية:

_ تدهور وضعية السكان المعيشية بشكل رهيب، فأصبحت تحت وطأة الفقر والمجاعة والأمراض والأوبئة الفتاكة، بعدما صدرت منهم كل ممتلكاتهم وتعرضهم لمختلف وسائل الاستعمار الفرنسي.

_ الهجرة إلى الخارج بعد أن ضاقت سبل العيش وفقد الإنسان كل ممتلكاته إما بالمصادرة أو بالسطو أو بالظروف الطبيعية والمجاعات التي عصفت بهم[2].

_ إن الإستعمار في إفريقيا قد حرص على أشياء هامة في مقدمتها حرصه على طمس معالم الحضارة الإسلامية والتراث الإسلامي بها، حتى لا يستطيع المسلمون التعرف عليه وإقامة دعوى خطيرة بأن هذه البلاد كانت مجهولة وغير متحضرة، كما عمدوا إلى نقل التراث الإسلامي إلى العواصم الأوروبية رغبة في إخفائه والقضاء عليه[3].

_ تفتيت المجتمع وإثارة النزاع والشقاق بين الأسر الكبيرة والنفي والإبعاد الذي استهدف الكثير من زعماء المقاومة وكذلك شيوخ الزوايا[4].

أدى تحكم الإستعمار الفرنسي بالتجارة الصحراوية وسيطرتها على الطرق التجارية نتج عنها آثار إقتصادية وإجتماعية.

---

[1] عميراوي أحميدة: المرجع السابق، ص ص138,137.

[2] نفسه، ص ص149,148.

[3] عمار هلال والهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص73.

[4] عميراوي أحميدة: المرجع السابق، ص ص147,146.

ثالثا: ردود فعل السكان من الإستعمار الأوروبي.

منذ أن وطأة أقدام الاستعمار الأوروبي للقارة الإفريقية توالت ردود فعل السكان بالرفض له وذلك ما جسدته المقاومة الشعبية[1]، ولقد عانى الإستعمار من ويلات هذه المقاومة ولم يتمكن من إخماد نيرانها إلا بصعوبة، وكان يخش أي حركة شعبية وخصوصا بعد نزوح العديد من قيادات الإنتفاضة باتجاه مناطق الجنوب والمناطق المتاخمة للصحراء والبحث عن دعم آخر للتنظيم مثلما تجلى في مساندة الزوايا ورجال الطرق الدنية للحركة المضادة للبعثات الإستكشافية والعسكرية والتبشيرية، ومن أهم هذه الثورات التي قاومت سياسة التوسع الإستعماري[2]، ثورة الأمير عبد القادر الجزائري(1832ـ1843م) قد واجها الأمير الإستعمار الفرنسي مواجهة عنيفة[3]، حيث بذل العديد من المحاولات ليقطع على الفرنسيين خطوط التموين، وانتزع منهم كثيرا من القبائل التي كانت قد تحالفت معهم وخضعت لسلطتهم، كما استولى الأمير على ميناء أرزيو الساحلي ليتمكن عن طريقه من الاتصال بالعالم الخارجي، والتحصيل على تأييده، وعلى الأسلحة اللزمة والمؤن، ولكن الفرنسيين تفطنوا لذلك الخطر، وعملوا على استعادة أرزيو منه في حين تمكن هو من افتكاك مدينة تلمسان منهم وشدد الحصار على مدينة مستغانم[4].

[1] فيصل محمد موسي: المرجع السابق، ص217.

[2] بشيرة قرايفة ورجاء تواوة: المرجع السابق، ص 118.

[3] فيصل محمد موسي: المرجع السابق، ص218.

[4] يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، (د.م)، (د.س)، ج1، ص36.

ولكن انتهت هذه الثورة بأسر الأمير عبد القادر ونفيه[1]، وكذلك ثورة الزعاطشة سنة1849م جنوب غرب مدينة بسكرة بزعامة الشيخ بوزيان، وتعود دوافع هذه الإنتفاضة إلى رفع فرنسا قيمة الضرائب على بساتين النخيل، وكذلك ثورة الشيخ بوعمامة 1881م والتي اعتبرت الأكثر عنفا والتي من أسبابها هو فشل البعثة الرسمية[2] لدراسة مشروع مد خط حديدي إلى ما وراء الصحراء[3]، فأشعلت بذلك نار الثورة في وجه المحتل الصحراوي[4]، وكذلك ثورة عثمان بن فودي(1804ـ1810م)، وقد تصد هو أيضا الكثير من السلطات والقيادات الإفريقية تناهض ذلك، وعزمها على إبقاء الأوضاع التي كانت سائدة على حالها وعلى الاحتفاظ فوق كل شيء بالسيادة والاستقلال، وهي قضية لم يكن أحد على استعداد لأي تنازل في شأنها، ومن بينهم نجد ملك الأشانتي في ساحل الذهب، وكذا مقاومة ساموري توري (1872ـ 1898م) ضد الإستعمار الفرنسي وحمايته للتجار والطرق التجارية، واستمر في مقاومتهم لمدة 17سنة حتى القبض عليه سنة1898م[5].

شهدت بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء عدة مقاومات ضد الإستعمار الأوروبي وأظهرت موقفها الرافض لهذه السياسة الإستعمارية.

[1] فيصل محمد موسي: المرجع السابق، ص218.

[2] بشيرة قرايفة ورجاء تواوة: المرجع السابق، ص118.

[3] يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين 19-20، المرجع السابق، ص291.

[4] بشيرة قرايفة ورجاء تواوة: المرجع السابق، ص119.

[5] فيصل محمد موسي: المرجع السابق، ص217.

خلاصة الفصل:

ونستخلص من خلال هذا الفصل عدة نقاط:

_ نتج عن تجارة القوافل بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء عدة آثار، منها الإجتماعية والإقتصادية، والعلمية والثقافية.

_ استطاع العرب أن ينقلوا عاداتهم وتقاليدهم إلى المجتمعات السودانية بفضل الإحتكاك المباشر بهم.

_ إنتشار اللباس والهندام المغاربي في بلاد السودان، وكذا إدخال أطباق جديدة في المطبخ السوداني.

_ أدى زواج الجنس الأبيض والأسود إلى ظهور فئة الزنوج.

_ إدخال أساليب جديدة في الزراعة كأسلوب الري في سقي المزروعات مما نتج عنها إنتاج وافر للمحاصيل الزراعية.

_ ظهور الفرنك الفرنسي في نمط التعامل التجاري.

_ ظهور العديد من العلماء الذين ساهموا بشكل كبير في نشر العلم، والدين الإسلامي، واللغة العربية، والثقافة الإسلامية كالشيخ عبد الكريم المغيلي....وغيرهم، من خلال مؤلفاتهم والدروس التي يلقونها على طلبتهم.

_ شهدت القارة الإفريقية خلال القرن19م، حركة إستعمارية من قبل الإستعمار الأوروبي وخاصة منطقة بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء.

_ اهتمام الإستعمار الأوروبي بالحركة الكشفية مما أدى إلى بروز العديد من الرحالة والمستكشفين أمثال روني كاييه، ومونغو بارك...إلخ، الذين ساهموا في اكتشاف مناطق عديدة.

_ تحكم الفرنسين في التجارة الإفريقية، وذلك بإبرام العديد من المعاهدات والإتفاقيات كمعاهدة لالة مغنية مع المغرب الأقصى، ومعاهدة غدامس مع الشيخ إيخنوخن، والمعاهدة التي وقعت مع بني ميزاب.

_ تحول التجارة من الصحراء إلى بحر المحيط الأطلسي، وذلك من خلال المشاريع التي قامت بها السلطات الفرنسية كمشروع السكة الحديدية، ومشروع البحر الداخلي الصحراوي الإفريقي.

_ تفشي العديد من المراض والأوبئة الفتاكة والفقر، مما اضطر بعض السكان للهجرة.

_ طمس الهوية العربية الإسلامية واحلال مكانها الثقافة الغربية.

_ إثارة الفتن والنزاعات وخلق الهوة بين زعماء المقاومة وشيوخ الزوايا.

_ رفض السكان للهمجية الإستعمارية ومقاومتها بكل الوسائل المتاحة.

الخاتمة

ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع نستنتج ما يلي:

_ تعتبر تجارة القوافل من أقدم الوسائل التي يعتمد عليها التاجر لإتمام تجارته واستمرار مهنته كتاجر وذلك لا يتم إلا عن طريق القوافل العابرة للصحراء وحتى يتمكن من بيع سلعته سواء في المناطق المغاربية أو المناطق الصحراوية.

_ تعد القوافل التي تمر بين ضفتي الصحراء لا تقتصر على التجارة فقط بل إن لها وظائف أخرى إلى جانب الوظيفة الإقتصادية وهي الوظيفة الدينية إذ أن القوافل تجول عبر الصحراء يكون دورها تجاري وفي نفس الوقت دورها ديني أيضا.

_ تتكون القافلة التجارية بمختلف الفئات فبالإضافة للتاجر الذي يعد الشخص الأساسي لهذه القافلة نجد الأدلاء والخبراء بمسالك الطرق إلى جانب ذلك الجمال والبغال.

_ لا يمكن أن تخرج القوافل إلا وفق سير منتظم وذلك للذهاب إلى الأسواق والمراكز التجارية لعرض منتجاتهم.

_ إن العوائق الطبيعية والبشرية التي تعترضها القوافل أثناء سيرها تؤدي إلى تأخرها للوصول في الوقت المناسب وذلك إما بسبب الضرائب أو قطاع الطرق، أو حتى الزوابع الرملية....إلخ

_ إن الطرق والمسالك الصحراوية ضرورية جدا بالنسبة لمرور القافلة، لذا فإن التاجر يفضل الطرق السهلة والمختصرة والتي تكون أقرب مسافة إلى الأسواق التي يرتادها، ويفضل كذلك الطرق التي يكون فيها آبار للمياه من أجل التوقف والإستراحة.

_ تعد المراكز التجارية المغاربية الصحراوية من أهم المراكز التي لعبت دورا مهما في ربط الصلات والعلاقات بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء بالإضافة إلى كونها مكان لعرض السلع والمنتوجات وعقد الصفقات التجارية، فهي أيضا مكان لإقامة علاقات جيدة بين مختلف شرائح المجتمع.

_ يوجد العديد من البضائع والمنتوجات الصادرة والمستوردة في بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء مثل الذهب، الملح، العبيد، التمور، ومختلف المنسوجات التي يتم تداولها بين مختلف الأسواق.....إلخ.

_ يعد الملح والذهب من أهم السلع الأكثر رواجا في الأسواق نظرا لقيمتها وكثرة الطلب عليها.

_ كان التعامل في الأسواق يتم وفق معايير محددة وكان يتم في هذه الأسواق بالمقاييس، والأوزان، والمكاييل خاصة الشبر والذراع لقياس الأقمشة، والقدم والخطوة لتحديد قياس الطول أو المسافات، أما الأوزان لتحديد وزن المنتوجات كالمثقال والرطل.....وغيرها، أما المكاييل فنجد الصاع، والمد، والمزود...إلخ.

_ كانت عملية المقايضة من أهم المعاملات التجارية انتشارا، فكانت تستبدل السلع بسلعة أخرى وبتراض الطرفين.

_ لقد أدى التعامل المستمر بين التجار في ضفتي الصحراء إلى انتشار العملات النقدية المختلفة فنجد الصكوك، والنحاس، وعملة سنغاي، والدراهم....إلخ بالإضافة إلى دخول عملة الفرنك الفرنسي في مختلف الأسواق بسبب دخول موجة الإستعمار خلال القرن19م.

_ انتقال العديد من العادات والتقاليد المختلفة بسبب التجارة، كالألبسة العربية الإسلامية التي انتشرت في بلاد السودان.

_ استطاع العرب والمسلمين أن يغيروا من نظرة الأفارقة للإسلام، وذلك من خلال الأخلاق والمعاملة الحسنة سواءً في أماكن الأسواق أو في المساجد.

_ تأثير المغاربة على السودانيين وذلك بإدخال الطراز العربي الإسلامي وبإنتشار اللباس والهندام المغاربي.

_ تنوع المطبخ السوداني بأنواع المأكولات وأصناف الحلويات المختلفة كالكسكس، والكويي والقطيفة والخبز.

_ أصبحت الأعياد والمناسبات في المجتمع السوداني أمرا ضروريا في حياتهم لما له من أهمية خاصة لديهم.

_ حدد الإسلام قواعد الزواج لدى الأفارقة وذلك وفقا للشريعة الإسلامية.

_ أدى زواج المغاربة ببعض السودانيين وإختلاط الجنس الأبيض مع الجنس الأسود إلى ظهور فئة الزنوج.

_ إدخال العرب أساليب زراعية جديدة في المجتمع السوداني الفلاحي، وإستعمالهم معاول مختلفة كالفؤوس، والمحراث، وإدخال أسلوب الري في سقي المزروعات.

_ إنتاج محاصيل زراعية مختلفة من الحبوب، والخضروات، والفواكه.

_ تأثير المغاربة في الحياة الإقتصادية لدى سكان السودان وذلك بتعدد العملات النقدية كالنقود الذهبية، والفضية، والنحاسية، والنقود المعدنية الأوروبية.

_ ظهور طبقة من العلماء في بلاد السودان وذلك بدافع نشر العلم والثقافة الإسلامية والدين الإسلامي.

_ بفضل الإحتكاك المباشر بالعلماء وحركة التأليف التي مست جميع الميادين كان لها تأثير كبير على حياة السودانيين وذلك بتقفي آثارهم من خلال مؤلفاتهم.

_ الدور الكبير الذي لعبه العلماء والدعاة في تنشيط الحياة العلمية في نشر العلم والدين الإسلامي واللغة العربية، والثقافة الإسلامية كالشيخ عبد الكريم المغيلي والشيخ سيدي محمد بن الشيخ المختار...وغيرهم.

_ كان دور المساجد في إثراء الحياة العلمية والفكرية في بلاد السودان الأثر البالغ في حياة العلماء ومقصدا لطلب العلم فيه.

_ إنتشار المكتبات في السودان والتي تحتوي على شتى العلوم المختلفة، وتوافد الطلاب والعلماء عليها.

_ شهدت منطقة بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن 19م، حركة استعمارية وذلك من خلال الإستعمار الأوروبي.

_ اهتمام الإستعمار الأوروبي بالقارة الإفريقية خلال القرن 19م، دفعها إلى إرسال رحالة ومستكشفين من مختلف الجنسيات.

_ إن اهتمام الرحالة والمستكشفين الأوروبين بالقارة الإفريقية وحبهم للمغامرة والمجازفة دفعهم إلى اختيار الصحراء الإفريقية كمناطق لإنطلاق رحلاتهم الكشفية كالرحالة مونغو بارك، وروني كاييه....وغيرهم، الذين ساهموا بشكل كبير في اكتشاف مناطق عديدة.

_ بسبب توغل الاستعمار الأوروبي استطاع الفرنسيين التحكم في التجارة الإفريقية.

_ إبرام الإستعمار الفرنسي العديد من المعاهدات والإتفاقيات وذلك من أجل تسهيل مهمتهم في بسط نفوذهم والسيطرة علي الطرق التجارية، خاصة بعد احتلال الجزائر سنة 1830م، والتي تعد بالنسبة لهم بوابة للتوغل داخل إفريقيا كمعاهدة لالة مغنية مع المغرب الأقصى، ومعاهدة بني ميزاب، ومعاهدة غدامس مع الشيخ إيخنوخن.

_ لقد استطاعت السلطات الفرنسية أن تجسد مشاريع عديدة من بينها مشروع السكة الحديدية، ومشروع البحر الداخلي الإفريقي.

_ تحول التجارة الإفريقية من الصحراء الكبرى إلى بحر المحيط الأطلسي وسيطرة الفرنسيين عليها.

_ ظهور العديد من الأمراض والأوبئة الفتاكة وانتشار الفقر والمجاعات، مما اضطر السكان للنزوح إلى مناطق أمنة وهجرة البعض الأخر نحو الخارج.

_ مصادرة السلطات الفرنسية للأراضي والممتلكات بإصدارها لعدة قوانين لتسهيل مهمة المصادرة.

_ طمس الثقافة العربية الإسلامية وهويتها واحلال الثقافة الغربية مكانها.

_ تطبيق سياسة فرق تسد بإثارة الفتن والنزاعات بين شيوخ الزوايا وزعماء المقاومة.

_ مقاومة السكان للحركة الاستعمارية برفضه لهذه السياسة ومقاومتها بالوسائل المتاحة.

الملاحق

الملحق[1] رقم : 01

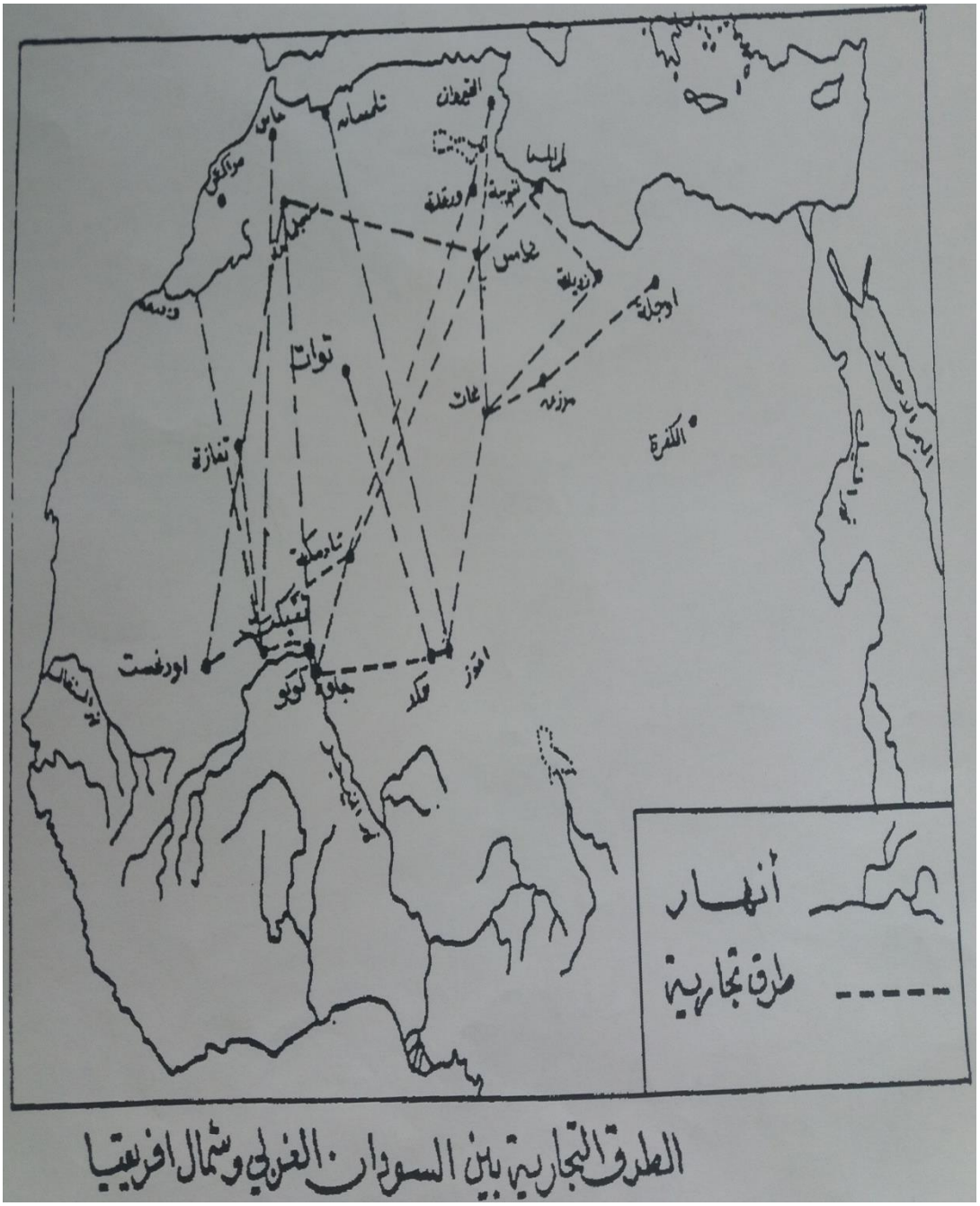

الطرق التجارية بين السودان الغربي وشمال افريقيا

[1] الهادي مبروك الدالي : المرجع السابق ،ص 362.

الملحق[1] رقم: 02

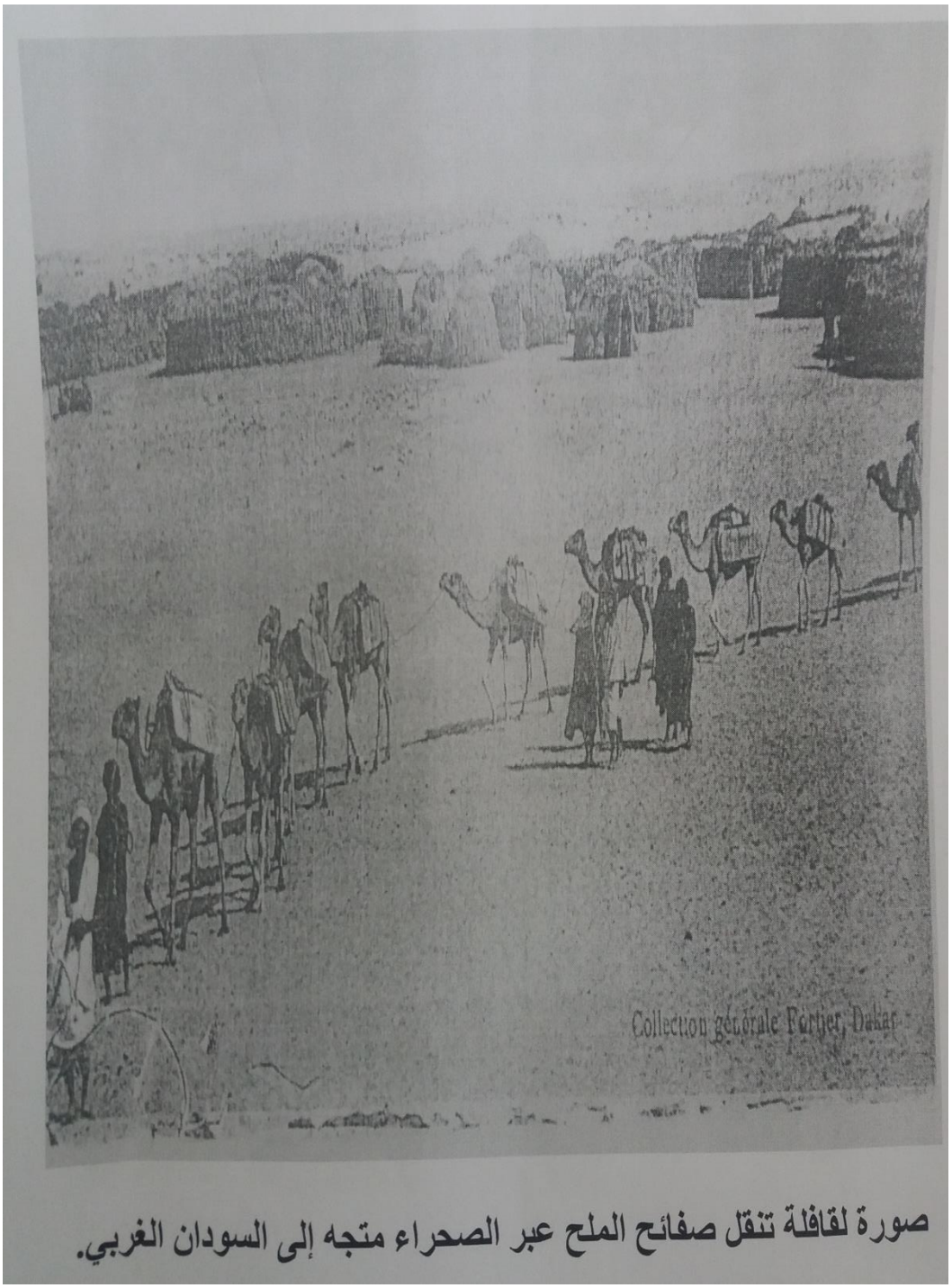

صورة لقافلة تنقل صفائح الملح عبر الصحراء متجه إلى السودان الغربي.

[1] أحمد ذكار: المرجع السابق، ص 169.

الملحق[1] رقم :03 العملات النقدية في بلاد السودان من القرن 11 إلى القرن 19م

الرقم	اسم العملة	قيـــمتهـــا	مصـــــدرها	مكان انتشارها
01	الصلع	ديناران	محلية	تادمكة
02	النحاس400 قضيب	01 مثقال ذهب	محلية	تاكدة
03	عملة سينغاي الذهبية	ديناران	محلية	سينغاي
04	الصكوك	غير محددة	محلية	جهات عديدة
05	الدينار	40 درهما	محلية	جهات عديدة
06	الكوري 1000	0,75 فرنك	دخيلة	جهات عديدة
07	الدوخة	/	محلية	جهات عديدة
08	الدراخمة	/	دخيلة	جهات عديدة
09	المثقال	4,25 غرام ذهب	محلية	جهات عديدة
10	المجيدي	4,5 فرنك	محلية	جهات عديدة
11	الدورو	/	دخيلة	جهات عديدة
12	البينتو	/	دخيلة	جهات عديدة
13	المحبوب	عملة ذهبية	دخيلة	جهات عديدة
14	الموزونة	عملة فضية	دخيلة	جهات عديدة
15	القايمة	عملة نحاسية	دخيلة	جهات عديدة

[1] يحي بوعزيز : تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص54.

الملحق[1] رقم :04 أسعار بعض السلع الصادرة من السودان الغربي خلال القرن 19م

الرقم التسلسلي	اسم البضاعة	وزنها	ثمنها بالعملات المستعملة محليا	ثمنها بالفرنك الفرنسي
01	العاج	50 كلغ	200 إلى 220 ألف كوري	200إلى 220 فرنك
02	ريش النعام	01 كلغ	من 50 إلى 60 الف كوري	من 50 إلى 60 فرنك
03	تبر الذهب	المثقال	من07 إلى 08 آلاف كوري	/
04	العبد الذكر	العبد الواحد	120 إلى130ألف كوري	130 فرنك
05	العبد الأنثى	الواحدة	150إلى 200 الف كوري	150 إلى 200 فرنك
06	قماش	22 مترا	08 آلاف كوري	19 فرنك

[1] يحي بوعزيز: تريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص56.

الملحق[1] رقم : 05

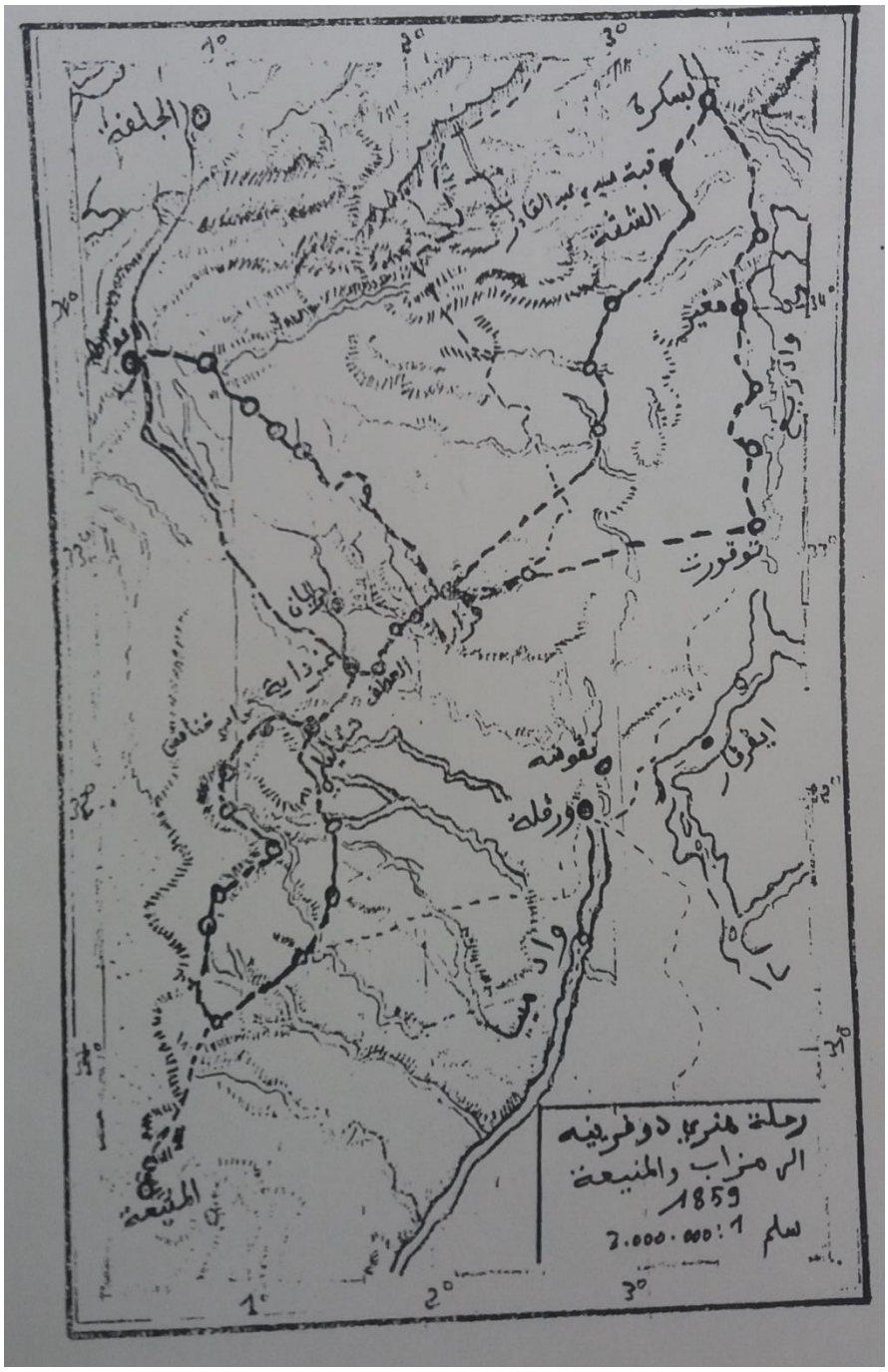

[1] إبراهيم مياسي : توسع الإستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، المرجع السابق، ص 90.

قائمة المصادر والمراجع

_ القرآن الكريم:

_ القواميس والمعاجم:

1. أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسن: معجم مقاييس اللغة، تر: عبد السلام هرون، مج5، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991م.

2. عمارة محمد: قاموس المصطلحات في الحضارة الإسلامية، ط1، دار الشروق، بيروت، 1993م.

3. الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب المحيط، تح: عامر أحمد حيدر ومراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم، مج5، (د.ط)، دار الكتاب العلمية، بيروت، 2005م.

_ المصادر المطبوعة:

1. الإدريسي الشريف: نزهة المشتاق في إختراق الأفاق، (د،ط)، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د.س).

2. ابن بطوطة ابو عبيد الله محمد: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمطار وعجائب الأسفار، تح: علي المنتصر الكتاني، ط ، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م.

3. البكري أبو عبيد: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب (وهو جزء من كتاب المسالك والممالك)، (د.ط)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.س).

4. ابن خلدون عبد الرحمان: تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم ذوي السلطان الأكبر، مج7، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1427هـ/2006م.

5. الدرعي أحمد بن محمود بن ناصر: الرحلة الناصرية، (د.ط)، المطبعة الحجرية، (د،م)، (د،س)، ج1.

6. السعدي عبد الرحمان بن عبد الله: تاريخ السودان، (د.ط)، المكتبة الباريسية لتدريس الألسنة الشرقية، باريس، 1981م.

7. العياشي أبو سالم عبد الله بن محمد: الرحلة العياشية، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القريشي،مج1، (د.ط)، دار الإمارات العربية، (د.م)، 2006م.

8.دي فيريه هنري: مذكرات الطريق رحلة في الواحات الجزائرية والتونسية 1861/1860م، تر: عبد القادر ميهي، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، 2014م.

9. فيلالي مختار بن الطاهر: رحلة الورتلاني(عرض ودراسة)، (د.ط)، دار الشهاب، باتنة، (د.س).

10. كاربخال مارمول: إفريقيا، تر: عمد حجي وأخرون، (د،ط)، دار الرباط للنشر، المغرب، 1988م،ج3.

11. كعت محمود: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان وأكابر الناس، (د.ط)،دار هوداس، بريس، 1984م.

12. مجهول: كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار(وصف مكة والمدينة ومصر، وبلاد المغرب)، تعريب: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د.س).

13. المغيلي محمد بن عبد الكريم: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تح: عبد القادر زبادية، (د.ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.

14. النصيبي أبو القاسم ابن حوقل:صورة الأرض، (د.ط)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت،1996م.

15. الوزان الحسن بن محمد: وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م،ج1،ج2.

_ المراجع:

1. بن تفسير باب البرني محمد جوف: أعلام الهدى بغرب إفريقيا، ط1، (د.د.ن)، السنغال، 1999م.

3. باري محمد فاضل علي وسعيد إبراهيم: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007م.

4. بوعزيز يحي: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى مطلع القرن20م، (د.ط)،دار هومة، الجزائر،2000م، ج2.

5. _____: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى مطلع القرن 20م ويلة الإستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا وأسيا وجزر المحيط، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، عالم المعرفة، الجزائر،2009م.

6. _____: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، (د.م)، (د.س)، ج1.

7. _____: ثورات القرن التاسع عشر، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.

8. _____: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2009م.

9. بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ط2، منشورات جامعة قاريوس، بنغازي، 1988م.

10. جواد علي: المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط2، (د.د.ن)، جامعة بغداد 1993م، ج7.

11. جوليان شارل أندري: تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي647م)، تح: محمد مزالي والبشير سلامة، (د.ط)، مؤسسة تاوالت الثقافية، (د.ط)، 2011م.

12. حافظي علوي حسن: سجلماسة وإقليمها في القرن 8هـ/14م، (د.ط)، (د.د.ن)، المغرب، 1997م.

13. حميدي جعفر عباس: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع،عمان،2002م.

14. حوتية محمد الصالح: توات والأزواد، (د.ط)، دار الكتاب العربية، القبة، الجزائر، 2007م،ج1،ج2.

15. بن خروف عمار: العلاقات الإقتصادية والإجتماعية والثقافة بين الجزائر المغرب في القرن(10هـ/16م)، (د.ط)، دار الأمل، الجزائر، 2008م.

16. الدالي الهادي مبروك: التاريخ السياسي والإقتصادي للإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن 15 إلى بداية القرن 18م،ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999م.

17. دبوز محمد علي: تاريخ المغرب الكبير: ط1، عالم المعرف، الجزائر، 2013م، ج1.

18. زاهر رياض: استعمار إفريقيا،(د.ط)، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة،1965م.

19. زبادية عبد القادر: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، (د.ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1969م.

20._____: دراسة في إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د.س).

21. زبادية عبد القادر: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493/1591م)، (د.ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.س).

22. الزبيري محمد العربي: التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830م، (د.ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

23. زكريا قاسم جمال: الأصول التاريخية للعلاقات الإفريقية، (د.ط)، دار الفكر الإسلامي، (د.م)، 1996م.

24. شتره خير الدين: الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، (د.ط)، منشوات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011م، ج2.

25. شعباني نور الدين: محضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، (د.ط)، دار الجزائر، الجزائر، 2015م.

26. الشماخي أحمد بن سعيد بن عبد الله: كتاب السير، تح: أحمد بن سعود السيابي، ط2، وزارة التراث القومي والثقافي، عمان، 1992م،ج1.

27. شوقي عبد القوي عثمان حبيب: التجارة ما بين مصر وإفريقيا، (د.ط)، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2000م.

28. العربي إسماعيل: الصحراء الكبرى وشواطئها، (د.ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.س).

29. عميراوي أحميدة: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1916/1488م، (د.ط)، دار الهدى، عين مليلة(الجزائر)،2009م.

30. الغربي محمد: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي نشأته وآثاره، إشراف: نقولا زياده، (د.ط)، مؤسس الخليج للطباعة والنشر، الكويت، 1982م.

31. لمقدم مبروك: الشيخ بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارة وممالك إفريقيا الغربية خلال القرن19/18م، (د.ط)، دار الغرب للنشر والتوزيع، (د.م)، 2002م، ج1.

32. مزهودي مسعودي: الإباضية في المغرب الأوسط، (د.ط)، منشورات جمعية التراث، غرداية، 1996م.

33. مقدم مبروك: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجري والخامس للميلاد، (د.ط)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، (د.س).

34. مقلاتي عبد الله (أرموم محفوظ): دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية، ط1، دار الشروق، الجزائر، 2009م.

35. المنصوري عثمان: التجارة بالمغرب في القرن السادس عشر(مساهمة في تاريخ المغرب الإقتصادي)، ط1، منشورات كلية الآداب، الرباط، 2001م.

36. موسي فيصل محمد: موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، (د.ط)، منشورات الجامعة المفتوحة، بنغازي(ليبيا)، 1997م.

37. مياسي إبراهيم: توسع الإستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري(1812/1881م)، (د.ط)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، (د.م)، 1996م.

38. _____: مقاربات في تاريخ الجزائر(1830/1962م)، (د.ط)، دار هومة، الجزائر، 2013م.

39. نياني،ج،ت: تاريخ إفريقيا العام(إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر)، مج4، (د.ط)، المطبعة الكاثولكية، بيروت، 1988م.

40. هلال عمار والدالي مبروك الهادي: دراسة في حركة التبشير والتنصير بمنطقة إفريقيا فيما وراء الصحراء، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2002م.

41. هوينكز(اج): التاريخ الإقتصادي لإفريقيا الغربية، تر: أحمد فؤاد بليع، (د.ط)، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1998م.

42. وين هاو روسيل: تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا، تر: عبد الوهاب محمد الزنتاني، (د.ط)، دار غريب، القاهرة، 2009م.

_ المجلات والدوريات:

1. أحمد الجمال إسماعيل: تاريخ مدينة أودغست ودورها في حركة التجارة بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء(السودان الغربي)، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، حولية8، جامعة الإسكندرية، 1436هـ/2008م.

2. بالحاج أوزايد: تجارة القوافل بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء في العهد العثماني ودورها الحضاري، في مجلة الروافد للبحوث والدراسات،ع2، جامعة غرداية ،2017م.

3. بلاغ عبد الرحمان: الحرف والمهن المرافقة لمسالك القوافل في المغرب الأوسط مراكز المسالك الصحراوية أنموذجاً، في دورية كان التاريخية، ع24، يونيو 2014م.

4. بلولة إبراهيم محمد أحمد: الهجرات والقوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية، في مجلة دراسات دعوية، ع9، فبراير 2005.

5. بنيدر الحاج: تاريخ تمبكتو منذ نشأتها إلى غاية القرن 11هـ، دراسة ثقافية وتاريخية، في دورية كان التاريخية، ع28، جوان 2015م.

6. بوترعة علي: الوجود الحضاري العربي الإسلامي في غرب إفريقيا، في دورية كان التاريخية، ع19، مارس 2013م.

7. بوسليماني عبد الرحمان: التراث العربي لإسلامي في شرق إفريقا وغربها (دراسة تاريخية)، في دورية كان التاريخية، ع17، سبتمبر 2012م.

8. جعفري مبارك: علماء منطقة توات وتأثيرها في السودان الغربي خلال القرن12هـ/18م، في مجلة كان التاريخية، ع16، يونيو 2012م.

9. الجنيدي عبد الحميد: مدينة تنبكت(تمبكتو) نشأة المدينة وتطورها، في دورية كان التاريخية، ع16، 2012م.

10. الجهيمي حمد محمد: الحياة الإقتصادية في سجلماسة من نشأتها إلى اكتمال بنائها(140ـ297هـ/758ـ 909م)، في مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، ع7، جامعة بنغازي، أكتوبر 2015م.

11. حفيان رشيد: أمن القوافل بين البلدان المغاربية خلال العهد العثماني، في دورية كان التاريخية، ع27، مارس 2015.

12. الرباصى مفتاح يونس: ازدهاره تجارة القوافل بين الدولة الحفصية ودولة الكانم والبرنو في العصر الوسطى، في مجلة السائل، جامعة 7 أكتوبر، كلية الآداب بني وليد، ليبيا، (د.س).

13. زبادية عبد القادر: ورقلة عروس مدائن الجنوب الجزائري، في مجلة الأصالة، ع41، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1977م.

14. سعيدوني ناصر الدين: ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني، في مجلة الأصالة، ع41، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1977م.

15. شتره خير الدين: المبادلات التجارية بين اقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي والسودان الغربي، في مجلة كان التاريخية، ع33، سبتمبر 2016م.

16. بن صغير حاضري يمينة: الحركة التجارية بالجنوب الشرقي الجزائري من القرن 4ـ11هـ/10ـ17م، في مجلة الواحات للبحوث والدراسات قسم العلوم الإنسانية، غرداية، 2012م.

17. طموح زهرة: تنظيم القافلة خلال القرن 19م، مج2، (د.ط)، كلية الدعوة الإسلامي، طربلس، ليبيا، 1995م.

18. عامري الحسن: العلاقات التجارية بين المغرب في بداية العصر الحديث من خلال كتاب وصف إفريقيا، في دورية كان التاريخية، ع9، سبتمبر 2010م.

19. عبد كريم عباس: الصلات التجارية بين المغرب والسودان الغربي، في مجلة كلية التربية الأساسية، ع4، قسم التاريخ، جامعة بابل، أيلول 2010م.

20. عبيد الله محمد محمود: دور الحركة السنوسية في التجارة عبر الصحراء 1902/1843م، في مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، جامعة بنغازي، ع17، أكتوبر 2016م.

21. عطية عبد الكامل: الروابط التجارية بين شمال وجنوب الصحراء الكبرى من خلال المصادر العربية والرحالة الأوروبيين بين القرنيين (19/15م)، في دورية كان التاريخية، www.kahhistorique,omg، ع23، مارس2014م.

22. عماري: المخزن المغربي والتجارة الصحراوية بين القرن16 والقرن18م، في مجلة الأمل، ع30، (د.ط)، 2004م.

23. فرغل محمد إبراهيم: شبكة الطرق التجارية وأهم مراكزها في بلاد المغرب خلال القرنيين 5/4هـ، في مجلة كلية الآداب، ع41، جامعة أأسيوط، مصر، يناير2012م.

24. مولاي أمحمد: التجارة والرحلة ودورها في التواصل العلمي بين توات وبلاد الساحل الإفريقي، في مجلة الدراسات التاريخية والإجتماعية، ع5.

25. بن ميلاد لطفي: قافلة الحج المغربي(تحولاتها وأبعادها خلال القرون الأخيرة في العصر الوسيط)، بونة للبحوث والدراسات، ع14/13، الجزائر، ديسمبر2010م.

_ الملتقيات:

1. الجهيمي حمد محمد: العلاقات التجارية بين مملكة غانا وبلاد المغرب فيما بين القرنين(3ـ5هـ/9ـ10م)، كلية الآداب والعلوم، جامعة عمر المختار.

2. حوتية محمد صالح: توات والقوافل التجارية(ضمن أعمال طريق القوافل)، المراكز الوطني للبحوث في عصر ما قبل التاريخ، الجزائر، 2001م.

3. محمود محمد: العلاقات الثقافة بين السكان في الشمال وجنوب الصحراء الكبرى، أعمال ندوة التواصل الثقافي والإجتماعي بين الأقطار على جانبي الصحراء، منشورات كلية الآداب، طرابلس، 1998م.

4. هاشم كوثر وقشاني علي: مظاهر التبادل الحضاري بين الجزائر وبلدان الساحل الإفريقي ما بين القرنيينى16و20م (ضمن أعمال الملتقى الوطني حول التواصل الحضاري بين الجزائر وبلدان الساحل الإفريقي ما بين القرنيين16و20م، جامعة شهيد حمه لخضر،25ـ26 أكتوبر 2017م.

_ الرسائل الجامعية:

1. بشاري لطيفة: التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الامارة الزيانية من القرن 7ـ10هـ/13ـ16م، رسالة مقدمة لنبل شهادة الماجستير، إشراف موسى لقبال، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1987/1986م.

2. حشفة نبيلة ويمينة بربيش: جهود المغاربة في نشر الثقافة العربية الاسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء من القرن 10ـ13هـ /19ـ16 م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المغرب الحديث والمعاصر، إشراف عبد الكامل عطية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2017/2016م.

3. قرايفة بشيرة ورجاء تواوة: البعثات الاستكشافية الفرنسية للصحراء الجزائرية خلال القرن19م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، إشراف عاشور قمعون، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2017/2016م.

4. كنيوة هيبة: نظرة الرحالة والمستكشفين الفرنسين للمجتمع الجنوب الجزائر(الزيان، ووادي ريغ، ووادي ميزاب) 1918/1844 م، مذكر مكملة لنبل شهادة الماستر في تاريخ المغرب

العربي الحديث والمعاصر، إشراف الجباري عثماني، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2016/2015م.

5. تي عواطف وجاب الله هدى: تمبكتو وعلاقتها الثقافية مع بلاد المغرب في القرنين (9ــ10هـ/15ــ16م)، إشراف علال بن عمر، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الوسيط والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الشهيد حمه لخضر،الوادي، 2017/2016م.

6. حامد لمين إبراهيم: التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الاجتماعي والثقافي(999 ــ1817هـ/1591ــ1900 م)، مذكرة لنبيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،(غير منشورة)، إشراف محمد حوتيه، قسم التاريخ، غرداية، 2015ـ2016م.

7. حبوره مريم محمد عبد الله: التجارة في بلاد إفريقيا وطرابلس الغرب خلال العهدين المواحدي و الحفصي (555ـ980 هـ/1160 ــ1572 م)، رسالة لنبيل شهادة الدكتوراه في الآداب من قسم التاريخ، إشراف سامية مصطفى مسعد، شعبة التاريخ الإسلامي، جامعة الزفازيق، 2008م.

8. حفيان رشيد: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين11ــ12 هـ/17ــ18 م، مذ كرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف خليفة حماش، قسم التاريخ ، جامعة قسنطينة، 2014/2013م.

9. ذكار أحمد: حاضرة و ارجلان وعلاقاتها التجارية بالسودان الغربي من السنة(1000ـ1301 هـ/1591ـ1883 م)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الافريقي الحديث والمعاصر، إشراف محمد حوتيه، قسم التاريخ، الجامعة الافريقي العقيدة أحمد دراية، أدرار، 2010/2009م.

10. سبوعي ربيعة: المراكز الثقافية في السودان الغربي ودورها في الحياة العلمية والفكرية خلال القرن10هـ/16م (حاضرة تمبكتو أنموذجاً)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إشراف رشيد قسيبة، قسم التاريخ، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2016/2015م.

11. شنايث العيفة: دولة بني مدرار بسجلماسة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف موسى لقبال، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1991/1990م.

12. عبد الله عباس: الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيراته في بلاد السودان الغربي من القرنين (9ـ10 هـ/15ـ16 م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف بشار قويدر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001/200م.

13. عليلي محمد: الاشعار الفكري في المغرب الإسلامي خلال القرنين 1ـ3هـ/7ـ9 م، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المغرب الإسلامي، إشراف بلحاج معروف، قسم التاريخ، جامعة أبى بكر للقايد، تلمسان، 2016/2015 م.

14. مبخوث بوداوية: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في دولة بني زيان، رسالة لنيل الدكتوراه دولة في التاريخ،(غير منشورة)، إشراف عبد الحميد حاجيات، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2006/2005 م.

15. مروان محمد عمر: الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مدينة غدامس خلال العهد العثماني الثاني1261ـ1331 هـ/1835ـ1912م(الدراسة من خلال الوثائق المحلية)، رسالة لنبيل شهادة الدكتوراه الدولة في التاريخ الحديث المعاصر، إشراف عمار بن خروف، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005ـ2006 م.

16. بن موسى جميلة: تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن3ـ5هـ/9ـ11 م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف إبراهيم فخار، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2000 /2001م.

17. بن ناجي رندة: العلاقات التجارية بين مملكة سنغاي وبلدان المغرب خلال القرنين 17/16م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إشراف عبد الكامل عطية، قسم التاريخ، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2016/2015م.

مراجع الأجنبية:

1. Curette Rezet: L'ALGERIE, Paris,1850.
2. Daumas: Le Sehara, Orgamisation Ďune Caravane ,R,O,A,C,T,15, Paris, 1854.
3. Daumas: Moeurs et coutumes de L'Algere, Pqris,1853.
4. É douard Cat: Atravers le desert, Par, É.Cat,Paris,1892.
5.Shaabeeny EL Hage Abd Salam: An account of and House temitqries im the interior of Africa,By,EL Hage Abd Salam Shaabeeny,London.1820.
6.Soleillet Paul: L'Afrique Occidentale Algérrie, Mzab, Tilidkelt, 1877.
7.Valans(Lucette):le maghrebavamt la parise dAlgere(1790_1830), Pari, Flammarion, 1969.

_ المواقع الإلكترونية:

1. الموسوعة الإسلامية: تحت عنوان طابع الإسلام والثقافة الإسلامية في شرق إفريقيا،www.islam beqon, Com، 16 ماي 2018م، 12:36.
2. الموسوعة الحر: الإثنين 23 أفريل 2018م، 11:15 صباحا.
3. موقع هسبريس الرباط، الأحد 22 أفريل 2018م، 10:20.

فهرس

الموضوعات

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة	1
مدخل	8
الفصل الأول القوافل التجارية	
ـ المبحث الأول: ماهية القوافل التجارية	12
أولا: مفهوم القافلة	12
ثانيا: أنواعها	15
ـ المبحث الثاني: مكونات القافلة	19
أولا: مكونات بشرية	19
ثانيا: مكونات حيوانية	29
ـ المبحث الثالث: نظم القافلة وسيرها	31
أولا: تجهيزات القافلة وسيرها	31
ثانيا: عوائق القافلة وحلولها	36
الفصل الثاني الأسواق والمعاملات التجارية بإفريقيا جنوب الصحراء والسودان الغربي	
ـ المبحث الأول: المسالك التجارية وأهم الأسواق ومراكزها	47
أولا: المسالك التجارية	47
ثانيا: أهم المراكز التجارية	51
ـ المبحث الثاني: البضائع الصادرة والمستوردة	62
أولا: البضائع الصادرة إلى بلاد السودان	62
ثانيا: البضائع المستوردة من بلاد السودان	72
ـ المبحث الثالث: المعاملات التجارية بالأسواق السودانية	79
أولا: الرسوم والضرائب	79
ثانيا: المقاييس والأوزان والمكاييل	80
ثالثا: المعاملات التجارية	84

رابعا: أسعار البضائع	88
الفصل الثالث الآثار الحضارية للقوافل التجارية واهتمام الاستعمار الأوروبي بها	
ـ المبحث الأول: الآثار الحضارية للقوافل التجارية	92
أولا: الآثار الإجتماعية والإقتصادية	92
ثانيا: الآثار العلمية والثقافية	103
المبحث الثاني: اهتمام الأوروبيين بالصحراء الإفريقية من خلال الرحالة والمستكشفين خلال القرن19م	113
أولا: الرحالة والمستكشفين الأوروبيين	113
ثانيا: الوسائل والأساليب التي اعتمدها الإستعمار الأوروبي في تسيير التجارة (الإستعمار الفرنسي نموذجا)	122
ثالثا: ردود فعل السكان من الإستعمار الأوروبي	134
الخاتمة	139
الملاحق	145
قائمة المصادر والمراجع	150